مُختَصَر نَصيحَة أهل الحَديث

للخطيب البَغدادي

تعليق وشــرح

د . يوسف محمد صديق

أستاذ الحديث وعلومه

قسم الدراسات الاسلامية بكلية التربية للبنات . بمكة المكرمة .

غرة ربيع ثاني سنة ١٤٠٨ هـ

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ ـــ ١٩٨٨ م

الناشـــر
دار الأصالة للصحافة والنشر وللانتاج الاعلامي
ص . ب ٣٠٠٤ الخرطوم ـــ السودان

بسم الله الرحمن الرحيم
وصل اللهم على نبيك الكريم

التعريف بالرسالة

مختصر نصيحة أهل الحديث، رسالة صغيرة نافعة مفيدة. وقد ذكر هذه الرسالة ابن خير الأشبيلي في فهرسته ص٢٢٦، وتوجد مخطوطة في دار الكتب الظاهرية في دمشق وتقع في ٤ صفحات، وقد وهم الأستاذ يوسف العش بأن النصيحة هي اقتضاء العلم العمل.

بسم الله الرحمن الرحيم

○ تمهيــد ○

الحمد لله علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ ، ورضى الله عن أصحابه وتابعيهم ومن سار على سنتهم فعلم وعلم وتعلم .

أما بعد : فقد نص القرآن الكريم في أكثر من آيه على النصيحه وأرشد الأنبياء أجمعين صلوات الله وسلامه عليهم إلى أهمية النصيحه ، فبدت الحكمة البالغه للعلماء في أمرها فخصوا النصيحه بالتأليف وأولوها جانباً عظيما من تصانيفهم .

وهذه صفحات وجيزه للخطيب البغدادي كتبها في بيان قيمة طالب الحديث ونصح له خاصه ولطلبة العلم عامة . وقد رأيت تدعيمها وتوسيعها بما يناسبها من فوائد ونصائح وترجمت لاسماء من ورد فيها وراعيت في ترجمة الاعلام مايشحذ الهمم ويكن مدعاه للنهوض والنشاط ويبعد عن الكسل والوقوع في الفضول من الكلام وتضييع الأوقات .

كما جعلت لها عناوين جانبيه ومباحث وفصولاً آملا أن يكون لهذه النصيحه أوفر الآثار الزاكيات على طلبة الحديث عامة وعلى طلابي ومريدى خاصة .

سائلاً الله تعالى لسلفنا الصالح وعلمائنا السابقين الأبرار الرحمة والغفران كما أسأله أن يرزقنا انتهاج سبيلهم .. وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلم .

(مكه المكرمه في غرة صفر ١٤٠٨ هـ . كتبه / تراب قدح العلماء)

د . يوسف محمد صديق

ترجمة المؤلف

هو أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدى ويكنى أبا بكر وأشتهر بالخطيب البغدادي . أصله من العرب ولم يكن والده من المبرزين في فن من فنون العلم إلا أن الخطيب في تاريخ بغداد يحدثنا عن والده فيصفه بالحفظ للقرآن الكريم ـ قال : « ١١ /٣٥٩ تاريخ بغداد » .

(وكان أحد حفاظ القرآن ، قرأ على أبى حفص الكناني وتولى الإمامة والخطابه على المنبر ب « درزيجان » نحواً من عشرين سنه ويبدو أن لقب « الخطيب » لحق والده بسبب توليه الخطابه مدة طويله ثم انتقل إليه) .

ولد أبو بكر الخطيب يوم الخميس لست بقين من جمادي الآخره سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائه وقد نشأ في كنف والده فبث فيه روح العلم والتلقى وحبب إليه القرآن ، والعلم ، وحضور مجالس العلماء . وحثه والده على سماع الحديث وهو ابن إحدى عشر سنة : فجلس في حلقة ابن رزقويه ثم انقطع عنه مدة ثلاث سنوات ولعل السبب في ذلك أنه أراد أن يبدأ بالفقه فجلس إلى أبى حامد الاسفرايين الذى انتهت إليه رئاسة المذهب الشافعى ببغداد والذى كان يحضر درسه سبعمائة متفقه ولم يقتصر على شيخ واحد حتى صار من كبار فقهاء الشافعيه فقد قال عنه السبكى ٤ /٣٠ «وكان من كبار الفقهاء تفقه على أبى الحسن بن المحاملى ، والقاضي أبى الطيب الطبري ، وعلق عنه الخلاف ، وأبى نصر بن الصباغ» .

وقال الذهبى في التذكره ٣ /١١٣٧ «وكان من كبار الشافعيه ، تفقه بأبى الحسن المحاملى وبالقاضي أبى الطيب» .

ثم مال بعد الفقه إلى الحديث حتى غلب عليه كما يقول ابن خلكان «كان فقيها فغلب عليه الحديث والتاريخ» . لقد أخذ الخطيب من كل علم بنصيب جيد فقد قرأ القرآن وتعلم وجوه القرات في صغره كما درس الفقه وأصوله حتى صار فقيها . من كبار فقهاء الشافعيه ودرس علوم الآلات وحل فيه وصنف ومع وهذب ورتب ونقد ، واشتغل بالتاريخ وخصوصا تاريخ الرحال .

ثم غلب عليه الحديث والتاريخ فأعطاهما نفسه وأوقاته وراحته وتخصص فيهما بحق .

وقد كان على جانب عظيم من الأخلاق الكريمة والمثاقب النبيلة ، وأنه كان مخلصاً في عمله وتصنيفه . ومن كثرة علمه لم يكن الخطيب معجبا بما وصل إليه من العلم ولا متكبراً بل كان متواضعاً حتى أنه كان لاتروق له الأسماء والألقاب الكبيرة ، كالحافظ والمحدث .

فقد روى أبو نصر محمد بن سعيد المؤدب عن أبيه أنه قال : «قلت لأبى بكر الخطيب عند لقائى إياه : أنت الحافظ أبو بكر ؟ فقال انتهى الحفظ إلى الدارقطني ، أنا أحمد بن على بن ثابت الخطيب» . « الطحان ٦٤ ، والتذكره ، ٣ / ١١٤١ »

وقد أضفى الله عليه حله من الهيبه والوقار فقد قال ابن السمعانى (معجم الأدباء ٤ / ٣٠) يصفه قال : اكتس به هذا الشأن غضاره وبهجه ونضاره ، وكان مهيبا وقوراً نبيلا خطيرا ، ثقة ، صدوقاً ، متحريا حجة فيما يصنفه ويقوله ونقيله ويجمعه ، حسن النقل والخط كثير الشكل والضبط ، قارئا للحديث ، فصيحا وكان في درجة الكمال والرتبه العليا خُلُقاً وخَلَقاً وهيئه ومنظر .

توفى رحمه الله بعد أن أشتد مرضه ضحى يوم الاثنين سابع ذى الحجه من سنة ثلاث وستين وأربعمائه رحمه الله وبوفاته طويت صفحة من صفحات العلم الحافله بالتحقيق والتصنيف . وفقد المسلمون علماً من أعلام المحدثين الذين أغنوا الخزانه الاسلاميه بما تحتاجه والمسلمين خيراً . ولقد قيل في رثائه قصائد منها قصيدة

للرئيس أبي الخطاب بن الجراح يقول فيها :

فاق الخطيب الـورى صدقـا ومعرفـه
وأعجـز النـاس في تصنيفـه الكتبـا

حمى الشريعـة من غاوٍ يدنسهـا
بوضعـه ، ونفـى التدلـيس والكذبـا

جلا محاسن بغـداد فأودعهـا
تاريخه مخلصاً لله محتسبـا

وقـال في النـاس بالقسطـاس منزويـا
عن الهدى وزال الشك والريـبـا

سقـى ثراك أبـا بكـر على ظمـأ
جون ركام يسح الـواكب السربـا

المقدمة وتشتمل على

- النصيحة في اللغة والإصطلاح .
- أحاديث النصيحة دراية ورواية ومعنى وتخريجا .
- النصيحة أحد أرباع الدين .
- النصيحة لكتاب الله تبارك وتعالى .
- النصيحة لرسول الله ﷺ .
- النصيحة لأئمة المسلمين .
- نصيحة أولى الأمر محفوفه بالمخاطر .
- النصيحة لعامة المسلمين .
- نماذج من نصائح أولى الفضل .

النصيحة في اللغة والإصطلاح :

النصيحة مشتقه من النصح ، يقال نصح الشيء إذا خلص ، ونصحت العسل إذا صفيته ، ونصح له القول إذا أخلص له .

أو مشتقه من النصح بمعنى الخياطه بالمنصحة (الأبره) والمعنى أنه يلم شعث أخيه بالنصح كما تلم المنصحه . ومنه التوبة النصوح كأن الذنب يمزق الدين والتوبة تخيطه . من كلام الحافظ ابن حجر عن المازرى وغيره بتصرف « انظر فتح الباري ١ /١٣٨ . ح » .

وعليه فالنصيحة هى إرشاد الناس لما فيه الصلاح وعلى صدقها ونفاذها يتوقف نجاح الأمم والشعوب في كل العصور إذ فيها حيازة الحظ للمنصوح له وهى من وجيز الكلام . قال الخطابى : «ليس في الكلام كلمة مفردة تستوفى بها عبارة عن معنى هذه الكلمة» .

الدين النصيحة :

قال الامام البخاري رحمه الله : «باب قول النبى ﷺ الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ــ وقوله تعالى : ﴿**إذا نصحوا لله ورسوله**﴾ . قال الحافظ ابن حجر أورده البخاري ترجمة باب ولم يخرجه مسندا لكونه على غير شرطه ونبه بايراده معلقا على صلاحيته بالجملة .

قال مقيده : الحديث رواه مسلم في صحيحه رقم (٩٥) ولا يضر تعليق البخاري له فقد أورده بصيغة الجزم وهذا محكوم بصحته حتى في البخاري . وقوله عليه الصلاة والسلام : «**الدين النصيحة**» يقول الحافظ يحتمل أنه على ظاهرة لأن كل عمل لم يرد به صاحبه الأخلاص فليس من الدين .

حديث (الدين النصيحة) أحد أرباع الدين :

قال الحافظ ابن حجر : «وهذا الحديث من الأحاديث التى قيل فيها أنها أحد

أرباع الدين ومن عده فيها الامام محمد بن اسلم الطوس» .

وقال النووي : بل هو وحده محصل لغرض الدين كله لإنه منحصر في الأمور التى ذكرها فالنصيحة لله وصفة بما هو له أهل والخضوع له ظاهراً وباطناً والرغبة في محاجة بفعل طاعته والرهبة من مساخطه بترك معصيته والجهاد في رد العاصين لله . وذكر العلامه الشيخ محمد السفار بن الحنبلى في كتابه غذاء الألباب لشرح منظومه الاداب عن ابن داود صاحب السنن أن حديث النصيحة أحد الأحاديث التى يدور عليها الفقه .

النصيحة لله تبارك وتعالى :

توحيده ووصفه بصفة الكمال دون تعطيل ولا تمثيل واجتناب معاصيه في السر والعلانيه والقيام بطاعته اخصلاصا ورغبة ومحبته ومحبه شرعه وكلامه والحب فيه والبغض فيه وجهاد من كفر به وبغض شرع الكفار والدعاء إلى ذلك والحث عليه .

النصيحة لكتاب الله تبارك وتعالى :

الإيمان بما فيه وأنه كلام الله ليس بمخلوق وتعظيمه في النفوس وتلاوته أثناء الليل وأطراف النهار وتعليمه وتعلمه وكتابته وطبعه والعمل على نشره وتفهم علومه وأمثاله .

النصيحة لرسول الله ﷺ :

تعظيمه حيا وميتا والإيمان بما جاء به وتوقيره وتبجيله والتمسك بطاعته وإحياء سنته ونشر علومها بالتأليف والترتيب والتعلم ، والاقتداء به في الأقوال والأفعال والتخلق بأخلاقه والتأدب بأدابه ومحبة آل بيته الأطهار وصاحبته الأبرار ومعاداة من عاداه وعادى سنته وأصحابه وموالاة من والى سنته ووالى أصحابه .

النصيحة لأئمة المسلمين :

إعانتهم على ماحملوا وكلفوا القيام به وتنبيههم عند الغفلة وسد خلتهم عند الهفوة ، وجمع الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة إليهم . ومحبتهم من غير ملق ونفاق ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتى هى أحسن .

نصيحة أولى الأمر محفوفة بالمخاطر :

مخاطر من جهة عرضها إذ المخاشنة اللفظيه والمعانده تكن مع الدون فينبغي أن تعرض بصورة تحقق الهدف السامي والغاية النبيلة ولا يتم ذلك إلا إذا كان الاخلاص رائدها ووجهها لا التلون ، والصدق حركتها لا الكذب والمحبه الصادقه قلبها ولسانها لا ضيق الصدر والبغض ونظره التشاؤم وفقدان الأمل ولأن إرشاد القائد والسلطان يختلف عن إرشاد غيره ولأن إرشاده يعني إرشاد الرعية أجمع ولأن بصلاحة تترتب مصالح الدين والدنيا . ومن هنا كانت المهمه أخطر وأكبر وكم من إناس أرادوا نصح الحاكم فأخطوا طريق القوم وسلكوا سبلا معوجه إما بنصح فاتر مخادع كذاب لا إراده خير فيه فينتهي بإنتهاء مجلسه ولا يجاوز الحناجر ولا يغير ولا يؤثر . وصدق القائل :

وغيرُ تقى يأمر الناس بالتقى
طبيبٌ يداوي والطبيب عليل

وأما بمخاشنة وتنفير وتقبيح يجر على الناس الويلات تلوا الويلات من إسالة دماء وإضاعة عروض ناهيك عن الأموال والممتلكات وفقدان للأمن وهذا أشد وأشر من الأول .

قال ابن رجب قال أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي في كتابة تعظيم أمر الصلاة : «أما النصيحة لأئمة المسلمين : فحب صلاحهم ورشدهم وعدلهم ، وحب إجتماع الأئمة عليهم ، والتدين بطاعتهم في طاعة الله عز وجل والبغض لمن رأى الخروج عليهم وحب اعزازهم في طاعة الله عز وجل» (جامع العلوم والحكم ص ٧٧) .

وقال أبو عمرو بن الصلاح : «والنصحية لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم وتأليف قلوب في طاعتهم» .

وقال الخطابى : «ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشره ، وألا يُغَروا بالثناء الكاذب عليهم وأن يدع لهم بالصلاح وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمر المسلمين من أصحاب الولايات وهذا هو المشهور وحكاه الخطابي . ثم قال وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم علماء الدين وأن من نصيحتهم قبول ماروه وتقليدهم في الأحكام وإحسان الظن بهم» . (شرح النووي ٢ /٣٧ /٣٩) .

النصيحة لعامة المسلمين :

تبذل لعامة المسلمين دون تمييز بين الفقير والغنى أو الأسود والأبيض أو العربى والعجمى ولله الحمد مازالت نصيحة عامة المسلمين مبذولة للجميع في المساجد والاعلام والجمعيات الخيرية وأماكن الفضل والارشاد والدعوة .

وتكون بالشفقة على المسلمين وبالسعى فيما يعود نفعه عليهم وكف وجوه الأذى عنهم وأن يحب لهم مايحب لنفسه ويكره لهم مايكره لنفسه . وقد رأيت بعينى رأسى إبان سنوات الجفاف التى وقعت على أفريقيا أهل الاسلام من شيوخ وشبان يسعون ليلا نهارا في تحقيق نفع المسلمين بتلك الناحية لايفرقون بين عربى وعجمى سواء كانوا من أغنياء وأثرياء أهل الرقعه أم ممن جاءوا من خارج بلادهم واعترافا بالفضل لأهله وتسجيلا للجميل وللتاريخ حملنى ضميري على سوق هذه الفائده وقد كان تدفقهم من جميع أنحاء العالم الاسلامي وأغلبهم من الكويت والسعودية ممن رباهم الاباء والعلماء على الاصلاح وحب الخير ونسأل الله تعالى لهم ظله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه .

وتكون النصيحة لعامة المسلمين بتخولهم بالموعظة الحسنة وتحبيب شرائع الاسلام لنفوسهم من غير تنفير ولا تقبيح وتنشيط هممهم للعبادة . روى عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال : قال بعض أصحاب النبى ﷺ : «والذى نفسى بيده إن شئتم لأقسمن لكم بالله أن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده ويحببون عباد الله إلى الله ويسعون في الأرض بالنصيحه» .
(انظر جامع العلوم والحكم /٧٧)

ويقبل نصحا من شفيق على الورى
حريص على زجر الأنام عن الردى

وتتوجب بإرشادهم على مصالحهم وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم وستر عوراتهم وسد خلاتهم ومجانبة الغش والحسد لهم .

قال الحافظ ابن رجب الحنبلى رحمه الله تعالى : «ومن أنواع نصحهم تعليم جاهلهم ورد من زاغ منهم عن الحق في قول أو عمل والرفق بهم في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر محبة لإزالة فسادهم ولو بحصول ضرر له في دنياه كما قال بعض السلف» .

وودت أن هذا الخلف أطاعوا الله وأن لحمى قرض بالمقارض . وكان عمر بن عبد العزيز ــ رضى الله عنه ــ يقول : «ياليتنى عملت فيكم بكتاب الله وعملتم به فكلما عملت فيكم بسنة وقع منى عضو حتى يكون آخر شيء منها خروج نفسى» .

(انظر جامع العلوم والحكم ص ٧٨)
(والسفارين في غذاء الألباب ص ٣٤)

بعض الأحاديث الوارده في النصيحة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «**إن الله يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشركوا به ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن**

تناصحوا من ولاه الله أمركم» . والحديث من حيث الدراية مرفوع ومن حيث الرواية صحيح ومن حيث التخريج .

وفي مسند الامام أحمد عن جبير بن مطعم ــ رضى الله عنه ــ أن النبى ﷺ قال : فى خطبته بالخيف من منى : **«ثلاث لا يقل عليهن قلب امرىء مسلم إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمر ولزوم الجماعة»** . لفظ أحمد وهو عند الترمزى رقم ٢٦٥٩ ــ العلم ــ وقال حسن صحيح ورواه ابن ماجه في المقدمه رقم ٢٣٢ . والحديث من قبيل المرفوع إلى النبى ﷺ وقد صححه الترمذى .

وروى ابن حبان في صحيحه عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال : «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وايتاء الزكاه والنصح لكل مسلم» . والحديث من حيث القواعد والمصطلح له حكم الرفع ومن حيث الرواية صحيح .

وفي الصحيحين عن مَعْقِل بن يسار رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : **«مامن عبد يسترعيه الله رعيه ثم لم يحطها بنصحه إلا لم يدخل الجنه»** . هذا من الأحاديث المشهورة لا على اصطلاح المحدثين كما هو معلوم في المصطلح وهو حديث لا مطعن فيه لتلقى الأمة الكتابين بالقبول وإجماع الأمة على صحة ما في الصحيحين .

وأخرج الطبرانى عن حذيفه بن اليمانى ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ﷺ قال : **«من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ومن لم يُمْسِ ويصبح ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولامامه ولعامة المسلمين فليس منهم»** . والحديث من المرفوع القولي وهو من أقوى أنواع المرفوع لأنه خطاب موجه للأمة فينهض للوجوب خلافاً للفعلى . ومن حيث الرواية يقول الهيثمى في زوائدة ١ /٨٧ فيه عبد الله بن أبى جعفر الرازي وثقه أبو حاتم وأبو زرعه وابن حبان وضعفه محمد بن حميد .

وأخرج الامام أحمد في مسنده عن أبى أمامه ــ رضى الله عنه ــ عن النبى

ﷺ قال : «**قال الله عز وجل : أحب ماتعبدنى به عبدى إلى أن نصح لى**» .
حديث قدسي والمراد بالاحاديث القدسيه الأحاديث التى تتحدث عن الذات المقدسة والمنسوبة من النبى ﷺ إلى ذات الله تبارك وتعالى .

وفي صحيح مسلم عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ﷺ قال : «**حق المؤمن على المؤمن ست ــ فذكر منها ــ وإذا استنصحك فأنصح له**» .
من حيث الدراية مرفوع قولى ومن حيث الرواية حديث صححه مسلم وأخرجه في أصل صحيحه لا في المقدمة .

□□□

نماذج من نصائح أهل الفضل :

* **نصيحة الوالي والسلطان للأمير والقاضي .**
* **نصيحة الحكيم والفقيه والشاعر للسلطان .**
* **نصيحة الخليفة والسلطان لعسكره وجنده .**
* **نصيحة الخبير وزعيم القبيله وذى الشوكه قومه وجماعته .**

(١) نصيحة الوالي والسلطان للأمير والقاضي

١ ــ ومن النصيحة لولاة الأمر كتاب عمر بن الخطاب في القضاء لواليه أبى موسى الأشعرى روى الدارقطني بسنده إلى سعيد بن أبى برده وأخرج الكتاب فقال : هذا كتاب عمر ، ثم قرىء على سفيان من ها هنا إلى أبى موسى الأشعرى : أما بعد : فإن القضاء فريضه محكمه وسنه متبعة ، فأفهم إذا أدلى إليك ، فإنه لاينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، آسى بين الناس في مجلسك ، ووجهك ، وعدلك حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا يخاف ضعيف جورك ، البينه على

من ادعى واليمين على من أنكر ، الصلح جائز بين المسلمين ، إلا صلحا أحل حراما ، أو حرم حلالا ، لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك ، وهديت فيه لرشدك ، أن تراجع الحق فإن الحق قديم ، وأن الحق لايبطله شيء ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل ، الفهم ، الفهم فيما يختلج في صدرك ، مما لم يبلغك في القرآن والسنة ، أعرف الأمثال والأشباه ، ثم قس الأمور عند ذلك ، فأعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهها إلى الحق فيما ترى ، وأجعل للمدعى أمدا ينتهى إليه ، فإن أحضر بينته ، وإلا وجهت عليه القضاء فإن ذلك أجلى للعمى وأبلغ للقدر ، المسلمون عدول بينهم بعضهم على بعض إلا مجلودا في حد مجربا في شهاد زور ، أو ظنينا في ولاء أو قرابة — فإن الله تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات ، ثم إياك والضجر ، والقلق والتاذى بالناس والتنكر للخصوم في مواطن الحق التى يوجب الله بها الأجر ويحسن بها الذكر فإنه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله مابينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم الله منه غير ذلك شانه الله .

٢ — ومن النصيحة لولاة الأمر ماكتبه الامام على للاشتر حين أراد توليته مصر . وليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح ، فاملك هواك وشح بنفسك عن ما لايحل لك ، فإن الشح بالنفس بالانصاف فيها فيما أحبت وكرهت . وأشعر قلبك المحبه للرعية والرحمة بهم ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا يغتنم أكلهم ، فإنما هم صنفان ، إما أخ لك في الدين ، أو نظير لك في الخلق ، يفرط منهم الذلل وتعرض لهم العلل ويأتي على أيديهم العمد والخطأ . فأعطهم من عفوك ، وصفحك ، مثل الذى تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فإنك فوقهم ، ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق ذلك . وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم .

لاتند على عفو ولا تتبجحن بعقوبة ولا تسرعن إلى بادرة ، ولا تقولنَّ إني امرؤ أمر فأطاع ، فإن ذلك ادغال في القلب ، ومنهكة للدين وتقرب من الغير فإذا أحدث لكما فيه من سلطانك ابهة أو مخيلة ، فانظر إلى عظيم ملك الله فوقك ، وقدرته منك على مالا تقدر من نفسك ، فإن ذلك يُطَامِن إليك من طِمَاحك .

وإياك ومسامات الله في عظمته ، والتشبه في جبروته ، فإن الله يذل كل جبار ، ويهين كل مختال ، انصف الله ، وانصف الناس من نفسك ، ومن خاصة أهلك ، ومن لك فيه هوى من رعيتك فإنك إن لم تفعل ذلك تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه ، دون عباده ، ومن خاصمه الله ادحض حجته وليكن أبعد رعيتك عنك واشنوءهم عندك أطلبهم لمعايب الناس فإن في الناس عيوبا ، الوالي أحق بسترها فلا تكشفن عن ماغاب عنك منها ، فإنما عليك تطهير ماظهر لك ، والله يحكم على ماغاب عنك .

ولا تعجلن بتصديق ساع (المراد ساع بغيبه ونميمة) فإن الساع غاش وإن تشبه بالناصحين ، ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ، ولا جبانا يضعفك عن الأمور ولا حريصا يزين لك الشر ، بالجور ، ولا يكون المحسن والمسيء عندك سواء بمنزله واحدة فإن في ذلك تزهيداً لأهل الاحسان في الاحسان وتدريباً لأهل الاساءة وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه .

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الناس الذين لا حيله لهم والمساكين والمحتاجين والبؤساء والزمنى (قال في المصباح المنير ج ١ ــ ٢٥٦ ماده زمم : زمن الشخص زمنا وزمانه فهو زمن ممن باب تعب وهو مرض يدوم زمنا وللقوم زمنى) فاحفظ الله فيهما كما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسما من بيت مالك وسهما من غلات صوافى بلدك .

وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحتقره الرجال ، فإن هؤلاء من الرعيه أحق بالانصاف من غيرهم وتعهد أهل اليتيم وأولى الرقه في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب نفسه للمساله وذلك على الولاه ثقيل والحق كله ثقيل .

ولا يطولن احتجابك عن رعيتك فإن احتجاب الولاه عن الرعيه شعبه من الضيق وقله علم بالأمور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتاجو فيصغر عندهم الكبير ويعظم عندهم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب (يختلط) الحق بالباطل .

وإياك والدماء وسفكها بغير حلها ، فإنه ليس شيء ادعى لنقمة ولا أعظم تبعة ، ولا أحرى لزوال نعمة وانقطاع مده ، من سفك الدماء بغير حقها فلا تفوتن سلطانك بسفك دم حرام ، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه ، بل يزيله وينقله ، وأخر السطوه حتى يسكن غضبك فتملك الخيار ، ولن تُحْكِم ذلك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك والسلام (موارد الظمان لدروس الزمان ٢ /٦٠٠ ــ ٦٠٢) .

٣ ــ ومن النصيحة لولاة الأمر وصف ضرار بن حمزة الصُدَائي للامام على ــ رضى الله عنه ــ عندما طلب منه معاوية رضى الله عنه ذلك :

قال معاويه لضرار بن حمزة الصدائى : صف عليا ، قال : ألا تعفيني . قال : بل صفه ، قال : ألا تعفيني . قال : لا أعفيك ، قال : أما أنه لابد : فإنه كان بعيد المدى ، واسع العلوم والمعارف ، لاتدرك غايته فيهما شديد القوى في ذات الله ، ونصره دينه ، يقول فصلا ويحكم عدلا ، ينفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمه من نواحيه ويستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير الدمعه ، طويل الفكر ، يقلب كفَّه تأسُفاً . وحزنا إذْ هَذا فعل المتأسف الحزين ، ويخاطب نفسه بالمزعجات ، والمقلقات ، يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما حضر ، كان والله كأحدنا إذا سألناه ، ويأتينا إذا دعوناه ، ونحن والله مع تقربه لنا وقربه منا لانكلمه هيبة له ، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، ولا يطمع القوى في باطله ، ولا ييئس الضعيف من عدله .

واشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل ستوره وغارت نجومه وقد تمثل في محرابه قابضا على لحيته ، يتململ تململ اللديغ ويبكي بكاء الحزين وكانى سمعته يقول : ياربنا ياربنا يضرع إليه .

ثم يقول : يا دنيا يا دنيا إلى تعرضت أم تشوقى ؟ هيهات غرى غيرى ، وقد بتتك ثلاثا لا رجعة لِيْ فيك ، فعمرك قصير وعيشك حقير ، وخطرك كبير آهٍ

من قلة الزاد وبعد السفر ، ووحشة الطريق ، فذرفت عين معاويه على لحيته فما ملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء .

قال معاويه : رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من واحدها في حجرها فلا ترقا عبرتها ولا يسكن حزنها . (موارد الظمآن من دروس الزمان ٢ /١٠١ ، ١٠٢)

(٢) نصيحة الحكيم والفقيه والشاعر للسلطان

ومن النصيحة لولاه الأمر رائيه سابق البربري التى وعظ بها عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — قال سابق : (موارد الظمآن من دروس الزمان ٢ / ١٠١ ، ١٠٢) .

بسم الذى انزلت من عنده السور ... والحمد لله . أما بعد ياعمر
إن كنت تعلم ماتأتى وما تذر ... فكن على حذر قد ينفع الحذر
وأصبر على القدر المجلوب ... وأرض به وإن أتاك بما لاتشتهى القدر
فما صفا لامرىء عيش يسر به ... إلا سيتبع يوما صفوة كدر
واستخبر الناس عما أنت جاهله ... إذا عميت فقد يجلو العمى الخبر
قد يرعوى المرء يوما بعد هفوته ... وتحكم الجاهل الأيام والعبر
إن التقى خير زاد أنت حامله ... والبر أفضل شيء نالته بشر
من يطلب الجور لايظفر بحاجته ... وطالب الحق قد يهدى له الظفر
في الهُدَى عِبرٌ تَشْفَى القلوب بها ... كالغيثِ يَنْضُرُ من وسمِّيه الشجر
وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها ... ولا البصير كأعمى ماله بصر
والرشد نافلة تهدى لصاحبها ... والغى يكره منه الورد والصدر
قد يوبق المرء أمر وهو يحقره ... والشيء يانفس ينمى وهو يحتقر
لايشبعُ النفسَ شيءٌ حين تُحْرِزه ... ولا يزال لها في غيره وطر
ولا تزال وإن كانت لها سعة ... لها إلى الشيء لم تطفر به نظر
وكل شيء له حال تغيره ... كما تغير لون اللمِّه الغيَر
والذكر فيه حياة للقلوب كما ... يحى البلاد إذا ما ماتت المطر
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه ... كما يجلى سواد الظلمه القمر
لاينفع الذكر قلبا قاسيا ابدا ... وهل يلين لقول الواعظ الحجر

والموت جسر لمن يمشي على قدم ... إلى الأمور التي تُخشى وتنتظر

فهم يمرون أفواجا وتجمعهم ... دار إليها يصير البدو والحضر

من كان في معقل للحرز أسلمه ... أو كان في خمر لم ينجه خمر

حتى متى أنا في الدنيا أخو كلف ... في الخد منى إلى لذاتها صغر

ولا أرى أثراً للذكر في جسدي ... والماء في الحجر القاسي له أثر

لو كان يُسْهِر عيني ذكرُ آخرتي ... كما يورقني للعاجل السهر

إذا لداويت قلبا قد أضرَّ به ... طول السقام ووهن العظم ينجبر

مايلبث الشيء أن يبلى إذا اختلفت ... يوما على نقضه الروحات والبكر

والمرء يصعد ريعان الشباب به ... وكل مُصْعَدَةٍ يوما ستنحدر

وكل بيت خرابٌ بعد جِدَّتِه ... ومن وراءِ الشبابِ الموتُ والكِبَر

بينا يُرى الغصنُ لَدْناً من أرومتِه ... ريانَ أضحى حطام جوفه نَخِر

كم من جميع أشَتَّ الدهرُ شَملهُم ... وكُلُّ شملٍ جميعٍ سوف ينتَثِر

ورب اصيد سامي الطرف مُعْتَصِبٍ ... بالتاج نيرانُهُ للحربِ تَسْتَعِر

يظل مفترش الديباج محتجباً ... عليه تُبْنى قبابُ المُلْكِ والحَجَر

قد غادرته المنايا وهو مُسْتَلَبٌ ... مجدَّلٌ تربُ الخدين منعفر

أبَعْدَ آدم ترجون البقاء وهل ... تبقى فروع الأصل حين ينعقر

لهم بيوت بِمُسْتَنِّ السيولِ وهلْ ... يبقى على الماء بيت أُسُّهُ مَدَر

إلى الفناء وإن طالت سلامَتُهُمْ ... مصيرُ كلِّ بني انثى وإن كَثُروا

إن الأمور إذا استقبلتها اشتبهت ... وفي تدبرها التبيان والعبر

والمرء ما عاش في الدنيا له أملٌ ... إذا انقضى سفر منها الى سفر

لها حلاوة عيش غير دائمة ... وفي العواقب منه المر والصبر

إذا انقضت زمر أجلها نزلت ... على منازلها من بعدها زمر

وليس يزجركم ماتوعظون به ... والبهم يزجرها الراعي فتنزجر

أصبحتم جزرا للموت يقبضكم ... كما البهائم في الدنيا لها جزر

لا تبطروا واهجروا الدنيا فإن لها ... غبا وخيماً وكفر النعمة البطر

ثم اقتدوا بالألى كانوا لكم غُررا ... وليس من أُمة إلا لها غرر

حتى تكونوا على منهاج أولكم ... وتصبروا عن هوى الدنيا كما صبروا

مالي أرى الناس والدنيا مولية ... وكل حبل عليها سوف ينبتر

لايشعرون بما في دينهم نقصوا ... جهلا وإن نقصت دنياهم شعروا

(٣) نصيحة الخليفة والسلطان لعسكره :

ومن النصيحة للرعيه ما قاله الامام علي — رضى الله عنه — لعسكره قال بن كثير في البداية والنهاية ٧ /٣٠٧ .

فقام علي فيهم خطيباً فقال : الحمد لله فاطر الخلق وفالق الاصباح ، وناشر الموتى ، وباعث من في القبور ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وأوصيكم بتقوى الله ، فإن أفضل ماتوسل به العبد الايمان والجهاد في سبيله ، وكلمة الاخلاص فإنها الفطره وإقام الصلاه فإنها المله ، وإتاء الزكاة فإنها فريضة وصوم رمضان فإنه جنه من عذابه ، وحج البيت فإنه منفاه للفقر مدحضة للذنب ، وصلة للرحم فإنها مثراه في المال ، منساه في الاجل ، محبة في الأهل ، وصدقه السر فإنها تكفر الخطيئه وتطفى غضب الرب ، وصنع المعروف فإنه يدفع ميتة السوء ويقى مصارع الهول ، افيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر ، وارغبوا فيما وعد الله المتقين فإن وعد الله أصدق وعد ، واقتدوا بهدى نبيكم ﷺ فإنه أفضل الهدى واستسنوا بسنته فإنها أفضل السنن ، وتعلموا كتاب الله فإنه أفضل الحديث ، وتفقهوا في الدين فإنه ربيع القلوب ، واستشفوا بنوره فإنه شفاء لما في الصدور واحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص وإذا قرىء عليكم فاستمعوا له وانتصتوا لعلكم ترحمون ، وإذا هديتم لعلمه فاعملوا به ، لعلكم تهتدون فإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذى لا يستقيم عن جهله ، بل قد رأيت أن الحجة أعظم ، والحسره أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه على هذا الجاهل المتحير في جهله وكلاهما مضلل مثبور ، لا ترتابوا فتشكو ، ولاتشكوا فتكفروا ، ولا ترخصوا أنفسكم فتذهلوا ولا تذهلوا في الحق فتخسروا ، ألا وإن من الحزم أن تتقوا ومن الثقه ألا تغتروا وأن انصحكم لنفسه أطوعكم لربه ، وأن أغشكم لنفسه أعصاكم لربه ، من يطع الله يأمن ويستبشر ، ومن يعص الله يخف ويندم ثم سلوا الله اليقين وارغبوا إليه في العاقبه ، وخير مادام في القلب اليقين ، إن عوازم الأمور أفضلها ، وإن محدثاتها شرارها ، وكل محدثة بدعة ، وكل محدث مبتدع ومن ابتدع فقد ضيع ، وما أحدث محدث بدعة إلا ترك بها سنة ، المغبون من غبن

دينه ، والمغبون من حسر نفسه ، وأن الرياء من الشرك ، وأن الاخلاص من العمل والايمان ، ومجالس اللهو تنسى القرآن ويحضرها الشيطان وتدعوا إلى كل غي ، ومجالسة النساء تزيغ القلوب وتطمح إليه الابصار ، وهي مصائد الشيطان فاصدقوا الله فإن الله مع من صدق وجانبوا الكذب ، فإن الكذب مجانب الايمان إلا إن الصدق شرف منجاة وكرم ، وأن الكذب على شرف ردىء وهلكه ، ألا وقولوا الحق تعرفوا به ، وأعملوا به تكونوا من أهله ، وأدوا الامانة إلى من ائتمنكم وصلوا أرحام من قطعكم ، وعودوا بالفضل على من حرمكم ، وإذا عاهدتم فأوفوا وإذا حكمتم فأعدلوا ولا تفاخروا بالآباء ، ولا تنابذوا بألقاب ، ولا تمازحوا ، ولا يغضب بعضكم بعضا ، وأعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين في سبيل الله ، وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأرحموا الأرملة واليتيم ، وافشوا السلام وردوا التحية ، على أهلها بمثلها ، أو بأحسن منها ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب .

أما بعد : فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع ، وأن الآخرة قد أطلت وأشرفت بإطلاع ، وأن المضمار اليوم وغدا السباق ، وأن السبقه الجنة والغاية النار ، إلا إنكم في أيام مهل من ورائها أجل يحثه عجل فمن اخلص لله نال أمله ومن قصر عن ذلك فقد خسر عمله وخاب أمله وضره عمله ، فاعملوا في الرغبه والرهبه ، فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله واجمعوا معها رهبة ، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله وأجمعوا معها رغبة فإن الله قد تأذن المسلمين بالحسنى ، ولمن شكر بالزياده ، وإني لم أر مغل الجنه نام طالبها ولا كالنار نام هاربها ، ولا أكثر مُكتسبا من شيء كسبه ليوم تدخر فيه الدخائر ، وتتلى فيه السرائر ، وتجتمع فيه الكبائر ، وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل ومن لايستقيم به الهدى يجر به الضلال ومن لا ينفعه اليقين ، يضره الشك ، ومن لا ينفعه حاضره فعازبه عنه أعور ، وغائبه عنه أعجز ، وأنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد ، ألا وإن أخوف ما أخاف عليكم اثنان : طول الأمل ، وإتباع الهوى ، فأما طول الأمل ، فينسى الآخره ، وأما اتباع الهوى فيبعد عن الحق ألا وإن الدنيا قد ترحلت

مدبره ، وأن الآخرة قد ترحلت مقبله ، ولها بنون فكونوا من أبناء الآخره إن استطعتم ولا تكونوا من بنى الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل .

(٤) نصيحة الخير وزعيم القبيلة وذى الشوكة قومه وجماعته :

ومن النصيحة لعامة المسلمين ما قام به الصحابى الجليل ثمامة بن اثال — رضى الله عنه — فى بنى حنيفة عندما أرتد بعضهم وبايع مسيلمة الكذاب .

وأصل بدعته كما روى البخارى في صحيحة عن أبى عباس وعن أبى هريرة — رضى الله عنهم — أن رسول الله ﷺ قال : فيما أنا نائم رأيت في يدى سوارين من ذهب فأهمنى شانهما فأوحى إلى في المنام أن أنفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما بكذابين يخرجان بعدي : أحدهما العنسى والآخر مسيلمة (كتاب باب وفد بنى حنيفه رقم الحديث ٤٣٧٤) . وعن ابن عباس قال : قدم مسيلمه الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول : إن جعل لى محمد الأمر من بعده تبعته ، وَقَدِمها في بشر كثير من قومه فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد — حتى وقف على مسيلمه وأصحابه فقال : «**لو سألتنى هذه القطعه ماأعطيتكها ، ولن تعد أمر الله فيك**» .
(صحيح البخاري كتاب المغازي من الباب السابق رقم ٤٣٧٣) .

وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٤ /٣٢٦ — ٣٢٧ وروينا عن عمرو بن العاص أنه وفد على مسيلمة في أيام جاهليته فقال له مسيلمة ماذا أنزل على صاحبكم في هذا الحين : فقال له عمرو لقد أنزل عليه سوره وجيزة بليغه فقال وماهى : فقال انزل عليه : ﴿**والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾ . قال ففكر مسيلمة ساعة ثم رفع رأسه فقال : ولقد أنزل على مثلها فقال له عمرو فما هى : فقال مسيلمة : يا وبر يا وبر ، إنما أنت ايراد وصدر ، وسائرك حفر ونقر . ثم قال كيف ترى ياعمرو فقال له عمرو : والله إنك لتعلم أنى أعلم أنك تكذب . وقال

ابن كثير : وذكر علماء التاريخ أنه كان يتشبه بالنبى ﷺ ، بلغه أن رسول الله ﷺ بصق في بئر فغزر ماؤه . فبصق في بئر فغاص ماؤه بالكلية ، وفى أخرى فصار ماؤه أجاجا وتوضأ وسقى بوضوئه نخلا فيبست وهلكت ، وأتى بولدان يبرك عليهم فجعل يمسح رؤوسهم فمنهم من قرع رأسه ومنهم من لثغ لسانه ، ويقال أنه دعا لرجل أصابه وجع في عينه فمسحها فعمى وقال بن كثير كان يقول ياضفدع بنت الضفدعين ، نقى لكم تنقين ، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين ، رأسك في الماء وذنبك في الطين . وكان يقول والمبذرات زرعا ، والحاصدات حصدا والذاريات قمحا ، والطاحنات طحنا ، والخابزات خبزا ، والثاردات ثردا ، واللاقمات لقما أهاله وسمنا ، ويقول والفيل وما أدراك ما الفيل ، له زلوم طويل وكان يقول والليل الدامس والذئب الهامس ، ما قطعت أسد من رطب ولا يابس . وأمثال هذا من الهراء والهذيان .

لعائن الله المتتاليات عليه وعلى أمثاله إلى يوم القيامه .

قال الكلاعى : وقام ثمامه بن أثال الحنفى في بنى حنيفة ، عندما أرتدوا فقال : أسمعوا منى وأطيعوا أمرى ترشدوا إنه لن يجتمع نبيان بأمر واحد ، إن محمدا ﷺ لا نبى بعده ولا نبى مرسل معه ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكم * غافر الذنب وقابل التوب * شديد العقاب ذى الطول * لا إله إلا هو إليه المصير**﴾ (غافر ١ ــ٣) . هذا كلام الله عز وجل أين هذا من : ياضفدع نقى كم تنقين . لا الشرب تمنعين . ولا الماء تكدرين . والله إنكم لترون أن هذا الكلام مايخرج من الـ (الإل) قال ابن منظور في مادة ألل ١١ /٢٦ والإل : الله عز وجل بالكسر وقيل الإل : النسب والقارة والإل : العهد كما في قوله : ﴿**لايرقبون في مؤمن إلا ولاذمه**﴾ . والأل : الأصل الجيد أى لم يجىء من الأصل الذى جاء منه القرآن .

وقد استحق ﷺ أمراً اذكره به ، مر بى رسول الله ﷺ وأنا على دين قومي ، فأردت قتله ، فحال بينى وبينه عمير ، وكان موفقا فأهدر رسول الله ﷺ دمى ، ثم خرجت معتمرا ، فبينما أنا أسير وقد أطلت على المدينه ، أخذتني

رسله في غير عهد ولا ذمه ، فعفا عني دمي ، وأسلمت ، فأذن لى في الخروج إلى بيت الله ، وقلت يارسول الله إن بنى قشير قتلوا أثالا في الجاهليه فأذن لي في غزوهم فغزوتهم وبعثت إليه بالخُمُس وتوفى رسول الله ﷺ وقام بهذا الأمر من بعده رجلٌ هو أفقههم وأرسل اليكم رجلا لا يسمى بأسمه ولا اسم أبيه يقال له : سيف الله . معه سيوف الله كثيره . فانظروا في أمركم فأذاه القوم جميعا أو من آذاه منهم قال ثمامة :

مسيلمــة أرجــع ولا تَمــــحَكِ ... فإنك في الأمــــــــر لم تُشْرَكِ
كذبت على الله في وَحْيــــــــه ... فكـــــان هواك هوى الأنْـــوَك
وَمنــــاكَ قومك أن يمنعــــوك ... وأن يأتهم خالــــدٌ تُتْــــرك
فمـــالك من مَصْعَـــدٍ في السمـــاء ... ولا لك في الأرض من مسلك

(الخلافه الراشده والبطولة الخالدة في حروب الرده «١١٦ــ١١٧»)

ومن النصيحة للرعية موقف سهيل بن عمرو العامري في أهل مكه أيام الرده وتحذيره لهم من أن يكون آخر من دخل في الاسلام وأول من خرج منه .

لما أسر المسلمون يوم بدر سهيل بن عمر العامري . سأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ أن ينزع ثنيتيه السفليين ــ وكان أعلم ــ (مشقوق الشفه السفلى) . قال : فإنه خطيب لا يقوم عليك خطيبا بمكه . فقال رسول الله ﷺ لعمر : «**عسى أن يقوم مقاما يسرك**» .

فلما توفى رسول الله ﷺ وانتهى خبر وفاته إلى مكه تكلم بها قوم كلاماً قبيحا ، ووعى ذلك عليهم ، فقام سهيل بن عمرو بخطبة أبي بكر كأنه كان سمعها فقال :

«أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله تعالى حي لايموت ، وقد نعى الله عز وجل نبيه ﷺ إليكم وهو بين أظهركم ، ونعاكم إلى أنفسكم فهو الموت حتى لايبقى أحد ، ألم تعلموا أن الله تعالى قال : ﴿**إنك ميت وأنهم ميتون**﴾ (الزمر ٣٠) . وقال : ﴿**وما محمد إلا رسول الله**

قد خلت من قبله الرسل فإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ (آل عمران ١٤٤) . وقال تعالى : **﴿كل نفس ذائقة الموت﴾** (آل عمران ١٨٥) . وقال : **﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾** . (القصص ٨٨) . فاتقوا الله واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم ، فإن دين الله قائم وكلمته تامه وأن الله ناصر من نصره ، ومعز دينه وقد جمعكم الله على خيركم .

قال الكلاعى : قال ذلك سهيل في كلام أكثر من هذا وعظهم به وذكرهم وقد كان الناس نفروا وهموا بالرده فنفعهم الله بكلامه فلم يرتد بمكه أحد فلما بلغ عمر بن الخطاب مقام سهيل قال : أشهد أن ماقال رسول الله ﷺ حق فهو والله هذا المقام . (الخلافه الراشده والبطولة الخالدة في حروب الرده ٣١ــ٣٢ والسيرة النبوية لابن كثير ٤ /٤٧٠) .

وقال النجم فهد بن عمرو صاحب اتحاف الورى (١ /٥٩٤ اتحاف الورى باخبار ام القرى) . فلما سمع أهل مكه بموت رسول الله ﷺ ، هم هم أكثرهم بالرجوع عن الاسلام . وأرادوا ذلك حتى خافهم عتاب (عامل الرسول ﷺ) بن أسيد فتوارى عنهم فقام سهيل بن عمرو على باب الكعبة فصاح بهم فاجتمعوا إليه . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ وقال : إن ذلك لم يزد الاسلام إلا قوة من رابنا ضربنا عنقه ، ثم قال ياأهل مكه لاتكونوا آخر من أسلم وأول من أرتد ، والله ليتمنَّ الله تعالى هذا الأمر كما ذكر رسول الله ﷺ فلقد رأيته قائما مقامى هذا وهو يقول قولوا معى لا إله إلا الله تدين لكم العرب وتؤدى لكم العجم الجزيه والله لتنفقن كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله تعالى فمن بين مستهزىء ومصفق ــ وفي رواية ومصدق ــ فكان مارأيتم ، والله ليكونن الباقي . فتراجع الناس عما هموا به وظهر عتاب بن أسيد ، فهذا المقام الذى أراد رسول الله ﷺ في قوله لعمر بن الخطاب رضى الله عنه لما أسر سهيل بن عمرو ببدر . «عسى أن يقوم مقاماً لا تذمه» .

□□□□

الفصل الأول

فصل في ألقاب المحدثين وقصور الهمم عن إدراكها وسبب ذلك وعلاجه

ويشتمل على :

(١) ألقاب المحدثين .

(٢) الاسباب التى أدت إلى استرخاء الهمم .

(٣) أمثله لعلو همة السابقين .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الخطيب (١) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ رحمه الله تعالى : «رسمت في هذا الكتاب لصاحب (٢) الحديث خاصة ، ولغيره عامة ما أقوله مني نصيحة له ، وغَيْرةً عليه ، وهو أن يتميز عَمن رضى لنفسه بالجهل (٣) ، ولم يكن فيه معنى يلحقه بأهل الفضل ، وينظر فيما أذهب فيه معظم وقته ، وقطع به أكثر عمره ، من كتب حديث رسول الله ﷺ وجمعه ، ويبحث عن علم ما أمر به من معرفة حلاله وحرامه ، وخاصة ، وعامة ، وفرضه وندبه ، وأباحته وحظره ، وناسخه ومنسوخه ، وغير ذلك من أنواع علومه قبل فوت إدراك ذلك .

(١) قال الخطيب : يقصد نفسه وقد درج على هذا بعض العلماء كالامام الترمزى في جامعه وكثيرا ما يقول قال محمد وأحيانا قال أبو عيسى وكذلك ابن العربى في شرحه على الترمزى الذى سماه (عارضه الأحوزى في شرح الترمزى) . هذا إحتمال وإحتمال ثاني :

في قال الخطيب : أنه أحد الطلاب ممن أملى عليه الخطيب هذا الكتاب النافع . وإحتمال ثالث : أنه لبعض النساخ .

فصل في ألقاب السابقين وقصور الهمم من إدراكها وسبب ذلك وعلاجه :

(٢) صاحب الحديث : هو من تصدى لإسماع الحديث والافاده فيه أى هو المنشغل بفن الحديث دراية ورواية وتخرجا والذى يطلع على كثير من الروايات وأحوال الرواه ومصنفات الحديث وكتب الرجال وغريب الحديث وغامض

علله . لا مجر الانتساب لأهل الحديث سواء أكان عنده علم به أم ليس له كفعل بعض الناس في زمننا هذا نسأل الله الهداية والسلامة لنا ولهم .

ولأن الغلو والتنطع بحجة إقامة السنة لا يكسب المرء لقب طالب الحديث فضلا عن المُحَدِّث .

وإنما التفسير الصحيح لحديث رسول الله ﷺ يكسب المرء هذا الشرف ويسمو به لهذه المرتبة العلية ، والخطيب الحافظ رحمه الله تبارك وتعالى يوجه وصيته للمحدثين خاصة ولغيرهم عامة لما للحديث في تحمله وروايته وتفسيره والعمل به من الشأن العظيم والخطب الخطير .

ألقاب المحدثين للناظم (في غرة الصباح بشرح العلامة المشاط ص ٦)

وراغب مبتـــــدىء ذو الطـــــلب
والشيـــــخ كالامــــام في ذا المذهب
كذا المحدث الـــــذى قد كمـــــلا
من كل استـــــاذ لدى من عقـــــلا
ومـــن حوى مائـــة ألـــف مطلقـــا
عليـــه لفـــظ حافـــظ قد أطلقـــا
والحجـــة الـــذى بما قد سلفـــا
وزيـــد مثليـــه يرى متصفـــا
ومـــن أحـــاط علمـــه بكـــل مـــا
روى بسم حاكما فلتعلمـــــــــــا
وناقـــــل الحديث بالاسنــــــاد
يدعونـــه الـــراوي بلا انتقـــاد

ومن ألقابهم :

الحـاكم : هو من أحاط علماً بجميع الأحاديث حتى لايفوته منها إلا اليسير .
الحافظ : أرفع من المحدث بحيث يكون مايعرفه في كل طبقة أكثر مما يجهله .
المسند : هو من يروى الحديث بسنده سواء أكان عنده علم به أم ليس له إلا مجرد

الرواية (أنظر تيسير علوم المصطلح للدكتور / محمود بن أحمد الطحان ص١٦).

وقيل :

طالب الحديث : هو مريد فن الحديث الشارع فيه .

المحدث : من عرف رجال الرواية والمروى في الذى حدث فيه .

الحافظ : من حفظ مائة ألف حديث مسنده وضبطها .

الحجة : من حفظ ثلاثمائة ألف حديث بأسنيدها .

الحاكم : من أحاط بالسنه .

أمير المؤمنين في الحديث : هو أرفع من الحاكم .

(٣) وهل يرضى أحد لنفسه بالجهل ؟

هذا على شاكله حديث كل أمتى يدخل الجنه إلا منن مَنْ أبى . قالوا : يارسول الله ومن يأبى ؟ قال من أطاعنى دخل الجنه ومن عصانى فقد أبى . الحديث أخرجه..

فمن فترت همته ونام وغفل عن المذاكره والاستذكار ورضى بالأنس والسمو والنوم والتسكع مع إمكان وتوفر سبل المعرفة فقد رضى لنفسه بالجهل وخلع ثوب العلم واخرج نفسه من دائرة طلبة العلم .

وهذا حال كثير من يدعى أنه من طلبة العلم الشرعى في زماننا . نسأل الله تعالى أن يصلحهم فينهضوا من كبواتهم ويرتفعوا بأنفسهم عن مواطن الجهالة فإن للعلم الشرعى مزيه وفضيله ليست لغيره من علوم الصناعات ومعرفه الحساب والكتابة .

ولم يأمر المولى تبارك وتعالى نبيه ورسوله محمدا ﷺ بالاستزاده من شيء إلا من العلم فقال آمرا له : ﴿ **وقل ربى زدنى علما** ﴾ . وقد كان دعاء المعصوم ﷺ دائما العلم النافع فيقول : « **اللهم إنى أسألك علما نافعاً وقلباً خاشعاً ولساناً ذاكراً** ... » أخرجه ...

والعلم النافع في التفسير والحديث والفقه إذ هى مدار العلم الشرعى الذى يفيد

معرفة مايجب كما كان يستعيد من العلم الأجوف غير النافع ككثير من علوم اليوم الضاره كعلم الموسيقى والرقص والغناء والرسم ونحوهما . فيقول ﷺ : «**اللهم إنى أعوذ بك من علم لاينفع ، ودعاء لا يسمع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ومن الجوع فإنه بئس الضجيع**» . الحاكم والترمذى والنسائى .

دعوى أن المشتغل يحفظ الأسانيد مشتغل عما هو الأهم :

ذكر العلامة ــ طاهر بن صالح الدمشقى ــ فى كتابة (توجيه النظر إلى أصول الأثر) ص ٤١٥ . ــ وهو كتاب جامع نافع في فن المصطلح ــ عن بعض العلماء قال : «تنقسم علوم الحديث الآن إلى ثلاثة أقسام :

الأول : حفظ متون الحديث ومعرفة غريبها وفقهها ، وهذا أشرفها .

الثاني : حفظ أسانيدها ومعرفة رجالها ، وتمييز صحيحها من سقيمها ، وهذا كان مهماً وقد كفيه المشتغل بالعلم بما صنف فيه وألف من الكتب ــ فلا فائدة من تحصيل ماهو حاصل .

الثالث : جمعه وكتابته وسماعه والبحث عن طرقه وطلب العلو فيه والرحلة إلى البلدان لأجل ذلك ــ والمشتغل بهذا مشتغل عما هو الأهم من العلوم النافعه فضلاً عن العمل به الذى هو المطلوب الأصلى إلا إنه لابأس به لأهل البطالة لما فيه من بقاء سلسة الاسناد المتصلة بسيد البشر ... الخ» المقطع من كلامه .

ثم قال الدمشقى : (وقد اعترض عليه بعض العلماء ــ في قوله ، وهذا قد كفيه المشتغل بالعلم بما صنف فيه وألف من الكتب) . فقال : «ويقال عليه : إن كان التصنيف في الفن يوجب الاتكال على ذلك وعدم الاشتغال به فالقول كذلك في الفن الأول ، فإن فقه الحديث وغريبه لايحصى كم صنف فيه ، بل لو أدعى مدع أن التصانيف فيه أكثر من تمييز الرجال والصحيح والسقيم ، لما كان قوله غير صحيح ، بل ذلك هو الواقع ، فإن كان الاشتغال بالأول مهماً فالاشتغال بالثاني أهم لأنه المرقاة إلى الأول فمن أخل به فقد خلط السقيم بالصحيح والمجروح بالعدل وهو لايشعر» .

والحق أن كلاً منهما مهم في علم الحديث ولا شك أن من جمعها جاز القدح

المعلى ، مع قصور فيه إن أخل بالثالث ، ومن أخل بهما فلا حظ له في اسم الحافظ ، ومن احرز الأول وأخل بالثانى كان بعيداً من اسم المحدث .

الاسباب التى أدت إلى استرخاء الهمم :

ولاينبغى أن يَغْفِلَ المصاحون عن الأسباب والدواعي التى أدت إلى الاسترخاء وضعف الهمم والعزائم فنتج الأهمال للعلم الشرعي والتى من أهمها :

(١) ندرة العلماء العاملين ممن تهفوا النفوس للهجرة إليهم والاصرار على مصاحبتهم (هل اتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا) .
ولو أدى ذلك إلى الارتحال والتنقل في البلاد وترك الراحة والرفاهية والهجرة من الأوطان والخلان .

إن العمل الجاد والسعى المتواصل لترتيب المدارس الشرعية العلمية وإعداد المشايخ من ذوى الفكر السليم والعقيدة الحقه ومن لهم قدرة على التأثير البالغ لهو عين الواجب وعين الصواب وعلى من بيده مقاليد الأمور أو من يستطيع أن يصلح في هذا الجانب أن يسعى فيه وجوبا لا ندبا وغياب الشيخ القدوه سبب لكثير من الانحرافات الفكرية والتصورات التفكيريه والمفاهيم المغلوطه والمسائل الفقهيه الخاطئه لأن المرء إذا طالع شيئا في بعض الكتب ثم رسخ في ذهنه ولم يعثر على شيخ صالح يصحح له فكره في الحال فإنه لن يرجع عنه بعد خاصة أن تزعم جماعة أو قبيله وقد حذر من ذلك القائل :

يظـــن القمـــر أن الكـــتب تهدى
أخـــا جهـــل لادراك الحقيقـــة
ومـــا علـــم الجهـــول بأن فيها
مدراك قد تدق عن الفهـــــم
ومـــن أخـــذ العلـــوم بغير شيـــخ
يضل عن السراط المستقـــــم
وكم من عائب قولا صحيحـــــا
وآفتـــه من الفهـــم السقـــم

وشرف العلم والتلقى لا يخفى على أحد وبه أظهر الله فضل آدم على الملائكه وأمرهم بالسجود له ، وإنما شرف العلم لكونه وسيلة إلى البر والتقوى الذى به يستحق العبد الكرامه عند الله تعالى والسعادة الأبديه .

كما قال محمد بن الحسن :

تعلـــم فإن العلـــم زيـــنٌ لأهلـــه
وفضل وعنـــوان لكـــل المحامـــد
وكـــن مستفيـــدا كل يوم زيـــاره
من العلـــم واسبـــح في بحار الفوائـــد
تفقـــه فإن الفقـــه أفضل قائـــد
إلى البر والتقـــوى وأعـــدل قاصد
هو العلـــم الهادي إلى سنـــن الهدى
هو الحصن ينجـــى من جميـــع الشدائـــد
فإن فقيها واحـــدا متورعـــا
أشد على الشيطـــان من ألـــف عابـــد

وقد وقفت على مقاله للاستاذ أحمد أمين الكاتب الأديب المصري المتوفى سنة ١٣٧٣ هـ بعنوان (أوقات الفراغ) أوردها في كتابه « فيض الخاطر » . فرأيت إيرادها باختصار مع تصريف وزياده كلمات يسيره — لمناسبتها في المقام رجاء الانتفاع بها .

قال : «في المنازل الآلاف من طلبة المدارس ، يقضون أربعة أشهر أجازة صيفيه ، فهل تسأل الآباء كيف يُقْضَى هذا الوقتُ الطويل فيما يعود بالنفع على جسمهم وعقلهم وخلقهم وبلادهم ؟ وفي البيوت نصف عدد الأمة من النساء ، فكيف يقضين أوقات فراغهن ؟

إذا كان الزمن هو المادة (الخامه) لاستغلال المال ، وتحصيل العلم وكسب الصحة ، فكم أضعنا من كل ذلك ؟ . وكم أعمار تضيع في عبث ؟ لا في عمل دنيا ، ولا في عمل آخره .

ومن نتائج ضياع الزمن ضياع كثير من منابع الثروه ، كان يمكن أن تستغل لولا إهمال الزمان والجهل بإستعماله ، فكم من الأراضي البور كان يمكن أن تصلح ، ومن الشركات يمكن أن تؤسس ، ومن المؤسسات المختلفه يمكن أن تنشأ وتدار بجزء من الزمان الفارغ .

وأن من نتيجة ضياع الزمن في عالمنا كساد الكتب وعدم قراءتها ، والرضا بالجهل ، فليس هناك نفوس تألم من الجهل ؟ ولكن أجساد تخلد إلى الراحه . والشأن في عالم المال كالشأن في عالم الكتب ، وهناك القناعه بالقليل والرضى بالميسور ، والنوم على الوظيفه والعمل الراتب الذى لا يدعو إلى جهد ، ولا يبعث على تفكير . ثم هناك الفكر المضنى ، وإفساح الطريق للأجنبي النشيط الذى يعرف كيف يستغل زمنه ولست أريد من المحافظه على الزمن أن يملأ كله بالعمل ، وأن تكون الحياه كلها جداً ودأباً ، لا راحة فيها ولا مرح ، وأن تكون عابسه لا ضحك فيها ولا بشر ، وإنما أريد ألا تكون أوقات الفراغ طاغيه على أوقات العمل وألا تكون أوقات الفراغ هى صميم الحياه ، وأوقات العمل على حاشيتها وطرفها بل أريد أكثر من ذلك : أن تكون أوقات الفراغ خاضعه لحكم العقل كأوقات العمل ، فإننا في العمل نعمل لغايه ، فيجب أن تصرف أوقات الفراغ لغايه كذلك ، إما لفائده صحيه كالألعاب الرياضيه المشروعه ، وإما للذه نفسية كالمطالعات العلمية ، وأما لغذاء روحى كالقيام بقراءة القرآن والحديث الشريف ونوافل الطاعات والعبادات .

أما أن تكون الغاية هى قتل الوقت ، فليست غاية مشروعه ، لأن الوقت هو الحياة فقتل الوقت قتل الحياه ؟ . فالذين يصرفون أوقاتهم الطويله في نرد أو شطرنج أو لغو أو لهو غير مشروع ، لا يعملون لغاية يرتضيها العقل ، وكذلك الذين يتسكعون في اللقا هى والأنديه والطرقات ، لا يطلبون إلا قتل الوقت ، كأن الوقت عدو من أعدائهم ؟! .

ومفتاح العلاج لهذه المشكلة الاعتقاد بأن الانسان يستطيع أن يغير موضوعاته حبه وكرهه كما يشاء . ويستطيع أن يغير زوقه كما يشاء ، فيستطيع أن يمرن زوقه

على اشياء لم يكن يتزوقها من قبل ، وعلى كراهية أشياء كان يحبها من قبل ، ففي استطاعة أغلب الناس ـــ إذ غويت أرادتهم أن يقسموا أوقات فراغهم على ماينفعهم صحيا ، وإلى ماينفعهم عقليا وإلى ماينفعهم دينيا .

ومن الأسف أن عامة الناس يعتقدون أن قراءة القصص الخفيفة والمجلات الرخيصة كافية لغذاء عقولهم ، فهم يلتهمونها التهاما ، ويكتفون بها في لذتهم العقلية وهى ليست إلا مخدرا للعقل ، أو منبها للغرائذ الجنسيه ، وقليل من الصبر وقوة الارادة يجعل المتعلم صالحا للدراسة الجدِّيه والقراءة المفيده .

وكل مثقف يستطيع أن يحرك في نفسه هوى لشيء جدى ، في نوع من أنواع المعارف ، يدرسه ويتوسع فيه ويتعمقه ، سواء كان أدبا أو حيوانا ، أو ازهارا ، أو مكانيكيا ، أو تاريخ عصر من العصور ، أو أى ضرب من ضروب المعارف الانسانية ثم يثير رغبته فيه ، ثم يخصص جزءا من يومه لدراسته والاهتمام به .

فإذا هو إنسان آخر ، له ناحية من نواحي القوة ، وله شخصيته المحترمه وله نفعه لنفسه ولأبناء جنسه وسواهم .

وإذا الأمه غنيه بأبنائها في شتى فروع العلم والمعارف والفنون تعتمد على كل فيما تخصص فيه من نواحي الحياه .

وإذا الناس في مجالسهم يرقى حديثهم ، ويسموا تفكيرهم وتنضر حياتهم ويكتسب بعضهم من بعض ثقافة وعلما وأدبا وسلوكا وتقديرا للزمن وإذا الثقافة أرتقت ، والعقول اتسعت ، والحياة سمت ، والقوة ازدادت ، وسبل المعيشة تيسرت وازدهرت .

إذ ذاك يشعر الناس أن عليهم واجبا أن يغذوا عقولهم كما يغذون معداتهم وأن لا حياة لهم بدون غذاء ، ولا غذاء بدون محافظة على الزمن وكسبه والاستفادة المثلى فيه ، وعندئذ يرتقى المجتمع وأهل بيئته فكراً وصناعه وانتاجا وعطاء ونفعا .

أجعل شعارك دائما أن تسأل نفسك : (ماذا عملت في وقت فراغي) . هل

كسبت صحه ، أو مالا أو علما ، أو نفعا لنفسى أو لغيري ؟ وأنظر هل خضع وقت فراغك لحكم عقلك ؟ فكان لك غايه محموده ، صرفت فيها زمنك ؟ إن كان كذلك فقد نجحت وإلا فحاول حتى تنجح .

اخلق بذى الصبر يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجأ

فقليل من الزمن يخصص كل يوم لشيء معين ، قد يغير عندك مجرى الحياه ، ويجعلك أقوم ماتتصور ، وأرقى مما تتخيل .

إن الأمة تعيش عشر ما ينبغي أن تعيش أو أقل من ذلك . سواء في انتاجها المالي ، أو ثقافتها العقليه ، أو حالتها الصحية ، وباقي حياتها هدر ، في كسل أو خمول ، أو بين نرد وشطرنج ولهو ولغو أو في لاشيء ولا ينقصها للتعيش كما ينبغي إلا أن تكتشف طريقه ملء الزمن وخضوعه لحكم الشرع والعقل .. انتهى ..

(٢) السبب الثاني من الأسباب التى أدت إلى فتور الهمم :

ابطال دور المسجد أو حصره وقصره على الصلاه

دور المسجد تعليمي وروحي بجانب أنه موضوع وضع الخطط الفكريه والعسكريه والاقتصاديه لهذا كان أول عمل قام به رسول الله ﷺ مقدمه المدينه أن بنى مسجدا والذى اسمى على التقوى من أول يوم .

أما الآن وللأسف الشديد فقد أبطل دور المسجد وانتزعت صلاحيته واتخذ في بعض البلدان المسلمين مصيدة تتخذها عصابات الأنظمة الطاغيه والمحكمه لغير شرع الله شبكة للقبض على كل مسلم فقط يؤدي صلواته في المسجد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . لذا خلت المساجد من المصلين فضلا من حلقات التلاوه ودروس العلم النافعه ، وأشد بلاء من ذلك أن يترك المجال لأهل الدعوات الضاله من مبتدعه وغلاه ومنحرفين بل يفسح ويوسع لهم إن لم نقل يساعدوا ويعاونوا مادياً وأدبياً لنشر ضلالاتهم ووساوسهم في مجتمعات أصلها مسلمة وبنيت على الفقه والفضيله فصار المسلم أذل من حمار أهله وحاله كما أنشدت عائشة ــ رضى الله عنها ــ عن لبيد :

ذهب الذيـــن يعـــــايش في اكنافهـــــم
وبقـــيت في خلـــف كجلـــد الأجـــرب

إن دور المسجد عظيم وإعادته لحياة المسلمين واجب بصورته الحية القويه النافعة وقلة مؤونته المادية فيما إذا ماقورنت بغيرها من سبل تقديم المعرفة والتوجيه كالمدارس والأندية والمعاهد والجامعات .

واشتد الطلب لاعادة دور المساجد لما ظهر في صفوف شبان المسلمين وفتياتهم من فقدان للشخصيه الاسلامية وذوبان في ثقافات غريبة مهزوزة .

(٣) ومن أسباب فتور الهمة :

الانبهار بحضارة الغرب الكافر والانحناء لها

إن تأخر المسلمين في مجال الصناعة والتقنيات والمجال العسكري وغيره أوجد فيهم انحناء وإكبارا لكل شيء جاءهم من الغرب وأمات فيهم الحماس إلى الاشتغال بالتنقيب في كنوز حضارتهم وتراثهم فأنكب شبابنا على وسائل الترفيه هذا من كان فيهم جادا وإن كان خلاف ذلك فمثاله في الحياه اللاعب والفنان أو الممثل .

بهذه الأسباب وبغيرها فترت الهمة ولا بد من وضع الخطط والبرامج للنهوض بأفراد الأمة الاسلاميه وسند أفرادها لاعادة العزة والكرامة وسلطان البحث والنظر في الدقائق العلميه والسمو بهمة الشبان خاصة اللذين قنعوا ببعض الألقاب الغربية في تخصصات جزئية ضيقة وفي الغالب الأعم نجد اللقب العلمي ولا نجد علمه ويصدق على كثير منهم قول الشاعر العربي الذى كان ينعى الخلافة الاسلامية ويهجو خلافائها في الاندلس في أخريات أيامها وبعد ذهاب أمجادها فيقول :

مما يزهدنـــــي في أرض أنـــــدلس
ألقـــاب معـــتضد فيها ومعتمـــد
ألقـــاب مملكـــة في غير موطنها
كالهر يحكـــي انتفاخـــا صولـــة الأسد

حتى صار الشباب المتخرج من الدراسات الاسلامية يتردد في ذكر اسم

معهده أو مدرستة الشرعية بين إخوانه وزملائه المتخرجين من دون الكفر والمجيدين لغة الشرك واختفت الألقاب العلميه الاسلامية كالمحدث والحافظ والحاكم والحجه وأمير المؤمنين في الحديث وشيخ الاسلام ونحو ذلك .

وحلت محل تلك الألقاب للأسف القاب مستورده كالهداف والقوان والهباك والسيرباك وعازف الجيتار وعازف البيانو . وهذه الألقاب الصارخه ذات الرفعة السؤدد والمكانه الاجتماعية الرفيعة والتى يوسع لها في المجالس وتفتح لها الأبواب ويصفق الناس لها وإذا ماقورنت بألقاب المؤذن وإمام المسجد والقارىء كأنك قللت من شأنها فتباً لأمة قدست المجون وأهله وأهانت المسجد وروافده وأهانت أهل الاسلام والقرآن لقد والله دنست تلك الحضارة الزاهيه بخلف أضاعوها فضاعوا .

أضاعـــوني وأى فتـــى أضاعـــوا
ليـــوم كريـــه وسداد ثغـــر

□□□□

امثلة لعلو همة السابقين

لقد ألف الاستاذ جميل العظم الدمشقي المتوفى سنة ١٣٥٢ هـ رحمه الله تعالى كتابا أسماه (عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفا فمئة فأكثر) .

فذكر ابن جرير الطبري ، وابن الجوزي ، والنووي وابن سيناء ، والغزالي وابن حجر العسقلاني ، والبدر العيني والسيوطي ، وابن تيميه ، وابن القيم ، وعلى القارىء والمناوي ، وعبد الغني النابلسى وعبد الحى اللكنوي . فإذا وقفت على تراجم هؤلاء الأفاضل الأعلام وأمثالهم حفزتك تراجمهم إلى أن تحس بقيمة الوقت والزمن وعلو الهمة إن كنت من أهل الهمم فتلحق بهم . قال الشاعر الأديب المصري أحمد شوقي رحمه الله تعالى :

دقـــات قلب المرء قائلــــة له إن الحيـــاه دقائـــق وثـــوان
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكـــر للانسان عمـــر ثان

وسوف أسوق لمحات من سير علمائنا الذين شاركت تأليفهم في كل علم وأن مرد ذلك إلى علو هممهم وأنهم تخلوا عن تسريب الوقت والغفله وعن فضول الكلام بتصريف الوقت دون فائده :

أولـئك قوم شيــد الله فخرهـــم فمـا فوقـه فخر وإن عظم الفخــر

فهذه لمحات وقبسات تبين همة أولئك الأئمة الذى كانوا فخر الاسلام بل الانسانيه جمعاء .

ولنترك المنبر لابن الجوزي يحدثنا عن علو همته كعلم من أعلام المسلمين قال رحمه الله : «ونظرت إلى علو همتى فرأيته عجبا ، وذلك أننى أروم من العلم ما اتيقن أنى لا أصل إليه لاننى أحب نيل كل العلوم على اختلاف فنونها وأريد استقصاء كل فن . وهذا أمر يعجز العمر عن بعضه» . (صيد الخاطر ص ٢٣٩) .

ويصور علو همته في مقطع آخر فيقول : « خلقت لى همة عالية تطلب الغايات ، بلغت الستين وما بلغت ما أملت : فأخذت أسأل الله تطويل العمر وتقوية البدن ، وبلوغ الآمال فأنكرت على العادات وقالت : ماجرت عادة بما تطلب . فقلت : إنما أطلب من قادر على تجاوز العادات » . (صيد الخاطر ص ص ٢٥٠ ــ ٢٥١) . وفي ذلك قوله :

مازلت أدرك ما غلاء ، بل ماعـــــــلا
وأكابـــــد النهج الــــعسير الأطــــول
تجرى بى الآمال في حلباتـــــــــــــه
طلـــق السعيـــد جرى مدى ما أمــــلا
افضى بى التوفيـــق فيــــه إلى الـــــذى
أعـــــــى سواى توصلا وتغلغـــــــلا
لو كان هذا العلـــــم شخصا ناطقـــــا
وسألتـــــــــــه هل زاد مثلي ؟ قال : لا

(انظر البداية والنهاية ١٣ /٢٩)

وقال الحافظ ابن رجب في « ذيل طبقات الحنابله في ترجمة ابن الجوزي » ١ : ٤١٢ ، ٤١٣ : « لم يترك فنا من الفنون إلا وله فيه مصنف ، وسئل عن عدد تأليفيه ، فقال : زيادة على ثلاث مائة وأربعين مصنفا ، منها ماهو عشرون مجلدا ، ومنها ماهو كراس واحد . وقال الموفق عبد اللطيف : كان ابن الجوزي لايُضيع من زمانه شيئا يكتب في اليوم أربعة كراريس ويرتفع له كل سنة من كتاباته مابين خمسين مجلدا إلى ستين » .

يحيى بن معين :

قال الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » ، ١١ : ٧١ وما بعدها وتذكرة الحافظ ٢ : ٤٢٩ في ترجمة يحيى بن معين : « هو الامام الحافظ ، الجهبذ ، سيد الحفاظ وملك الحفاظ شيخ المحدثين ، ابو زكريا ، يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطان . ولم يكن من العرب وإنما والى بعض بنى مر منهم فقيل له : المرى

ولاءً . البغدادي ولادة ومنشاء ، أحد أعلام المحدثين الكبار » .

ولد في بغداد سنة ثمان وخمسين ومائه من الهجرة ونشأ في بغداد وكتب العلم وهو ابن عشر سنين ، وكان أبوه معين من نبلاء الكتاب لعبد الله بن مالك على خَرَاج الري ، فخلف له ألف ألف درهم فأنفقها كلها على تحصيل الحديث حتى لم يبق له نعل يلبسه .

سمع الحديث من عبد الله بن مبارك وهشيم بن بشير ، وإسماعيل بن عياش ، وسفيان بن عيينه ، وعبد الرزاق الصنعاني ، باليمن . ووكيع بن الجراح ، ويحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن بن مهدى ، وخلق كثير ، سواهم بالعراق والشام والجزيره ومصر والحجاز .

وروى عنه الحديث الامام أحمد بن حنبل ، والبخاري ، ومسلم وأبو داود ، وعباس الدوري البغدادي ، وأبو زرعة الرازي وأبو حاتم الرازي ، وعثمان بن سعيد الدرامي ، وأبو يعلي الموصلي .

قال على بن المدينى : انتهى علم الناس إلى يحيى بن معين . وقال عبد الخالق بن منصور : قلت لعبد الله بن الرومي : سمعت بعض أصحاب الحديث يحدث بأحاديث يحيى بن معين ويقول : حدثني من لم تطلع الشمس على أكبر منه ، فقال بن الرومي : وما تعجب ؟ سمعت على بن المدينى يقول : مارأيت في الناس مثله ، ومانعلم أحداً من لدن آدم كتب من الحديث ماكتب يحيى بن معين .

قال محمد بن نصر المروزي : سمعت يحيى بن معين يقول : كتبت بيدي ألف ألف حديث (يُعد المحدثون كل خبر أو أثر من كلام رسول الله ﷺ أو كلام الصحابي أو التابعي ، أو التفسير للفظ غريب أو لفظ مبهم أو نحو ذلك إذ رُوى بالسند : حديثا فهذا على هذا المعنى) .

قال الذهبي : يعني بهذا العدد المكرر من الحديث الواحد ألا تراه قال : لو لم نكتب الحديث الواحد خمسين مرة ماعرفناه .

وقال الامام أحمد بن حنبل : كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس بحديث . يحيى بن معين رجل خلقه الله لهذا الشأن يظهر كذب الكذابين .

وقال أبو حاتم الرازي : إذا رأيت البغدادي يحيى أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنه ، وإذا رأيته يبغض يحيى بن معين فاعلم أنه كذاب .

ويحيى بن معين هو صاحب منهج عظيم في تلقى العلم ونشره ، إذ يقول كلمته التى صارت دستور المحدثين والعلماء ، في التحصيل والاداء : إذا كتب فقمش — أى اكتب كل ماتسمع وأجمعه — وإذا حدثت ففتش .

قال صالح بن أحمد الحافظ : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله قال : سمعت أبي يقول : خلف يحيى بن معين مئة قمطر ، وأربعة عشر قمطر « قال المرتضى الزبيدي في شرح الاحياء /١ : ٣٥٩ — القمطر سفط يسوى من قصب تصان فيه الكتب » وأربعة حباب شرابيه مملوءه كتب « الحباب جمع حُب بضم الحاء وهو الجره الكبيره الضخمه ، وكانوا يضعون كتبهم في تلك الجرارة الكبيرة ، حفظا لها ، وشرابيه منسوبة إلى الشراب » .

وكان يحيى بن معين هذا ، إذا حج ذهب إلى مكه من طريق المدينة وإذا رجع من مكه رجع عن طريق المدينة ، فلما حج في سنة ثلاث وثلاثين ومئتين دخل المدينة قبل الحج في أواخر ذى القعده ، فأصابه المرض فمات لسبع ليال بقين من ذى القعدة ، فتسامع الناس بقدومه وبموته ، وأخرج له بنى هاشم الاعواد — أى السرير — التى غسل عليها رسول الله ﷺ فغسل عليها ، وصلى عليه الناس ودفن في البقيع ، وكان الناس يقولون : هذا الذى كان يذب الكذب عن رسول الله ﷺ . انتهى .

قلت في تلقى يحيى بن معين لهذا الحديث من شيخه محمد بن الفضل لطائف غاليه ، وفوائد ثمينه . وذلك أن يحيى بن معين الذى عرفنا طرفا من ترجمته فيما تقدم طلب من شيخه محمد بن الفضل السدوسى البصري الملقب بعارم : أن يحدثه بهذا الحديث أول ما جلس إليه يحيى ، فلما بدأ يحدثه واستهل التحدث بقوله

حدثنا حماد بن سلمه ، قال له يحيى : لو كان من كتابك .

وإنما طلب يحيى هذا منه زياده في التوثق والتثبت ، فإن محمد بن الفضل حافظ ثبت صدوق مأمون أحد الثقاة المعروفين ، ولكن أراد يحيى زيادة الاستيثاق والضبط .

وكان من عادة المحدثين قبل إنشاء المدارس في القرن الخامس الهجري ، أن يحدث الشيخ طلابه في المسجد ، أو في مكان فسيح إذا كانوا لايسعهم المسجد ، أو على باب داره إذا كان العدد قليلا ، وكان الفضل بن محمد يحدث يحيى بن معين هذا الحديث على باب داره .

فلما قام محمد بن الفضل ليدخل داره ويأتى بكتابه من بيته فيحدثه منه خشى يحيى أن يحصل لمحمد بن الفضل مانعاً في هذه الفترة القصيره بين قيامه لبيت للأتيان بالكتاب وعودته إليه ، فيفوت عليه سماع هذا الحديث منه ، فأخذ بثبابه قبل أن يتم قيامه ليأتى بالكتاب من بيته ، ومنعه من دخول الدار حتى يحدثه بالحديث من حفظه ، لشدة حرصه على سماع الحديث ، خشية أن يفوته سماعة بعارث يعرض أو مانع يمنع .

وقال له : أمله على الآن من حفظك . فإنى أخاف ألا ألقاك ، فإن الحياه لها قواطعها فأخاف أن يحال بينى وبينك فلا ألقاك ، فأملى محمد بن الفضل : الحديث على يحيى بن معين من حفظه أولا ، ثم دخل داره فجاء بالكتاب فقرأه عليه منه ثانيا .

وهذه الواقعة تسجل لنا ماكان عليه الامام يحيى بن معين ، من شدة الحرص على كسب الوقت ، وعظيم الحفاظ على تحصيل العلم ، ومتانة التوثيق فيه ، وقوة المسارعة والاستباق إلى الاستفادة ، وما كان عليه من الابتعاد عن الأمل والتمهل في تقييد العلم والفوائد ، وخوف المباغته من قواطع الحياة .

وبهذه الواقعه الصغيرة التى جاء تسجيلها عرضا ، عرفنا ماكان عليه الامام يحيى بن معين من حفظ الوقت وكسب الزمن ، وأدركنا كيف تسنى ليحيى بن

معين أن يكتب بيده ألف ألف حديث ، ويطوف البلدان ، ويسمع من الشيوخ ويحدث بما سمعه وتلقاه ، ألوف المحدثين والطالبين .

وليس الإمام يحيى بن معين في هذه المنقبه نسيج وحده وفريد نوعه بل قل مثل ذلك في الامام على بن المدينى وأحمد بن حنبل والبخاري ومسلم وأبى داود والترمزى والنسائى وأمثالهم .

ابنُ جرير الطبري :

وهذا الامام ابن جرير الطبري شيخ المفسرين والمحدثين والمؤرخين ، والامام المجتهد العظيم ، كان رحمه الله تعالى آية من الآيات ، في استفادته من الوقت وحفاظه على ملئه بالتعلم والتعليم والكتابة والتأليف ، حتى بلغت مؤلفاته من الكثرة ــ مع الابداع والاتقان ــ العدد العجاب .

قال العلامه ياقوت الحموى في كتابه (معجم الأدباء ١٨ : ٤٠ــ٩٦) في الترجمة الحافلة التى كتبها للامام بن جرير الطبري ، وبلغت ستة وخمسين (٥٦) ، والحافظ الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢ ، ١٦٢ــ١٦٩) ما اقطف منه هنا الجمل التاليه من ترجمة هذا الامام الجليل ، ودخل حديث أحدهما في الآخر :

حدث على بن عبيد الله اللغوى السِّمْسِمِى ، عن القاضي ابى عمر عبيد الله بن أحمد السمسار ، وأبى القاسم بن عقيل الوراق : أن أبا جعفر الطبري قال لاصحابه : «اتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدره ؟ قال : ثلاثون ألف ورقة فقالوا : هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه . فاختصره فى نحو ثلاثة آلاف ورقه . وأملاه في سبعة سنين ، من سنة ثلاثة وثمانين ومئتين إلى سنة تسعين . ثم قال لهم : اتنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا ؟ قالوا كم قدره ؟ فذكر نحوا مما ذكره في التفسير ، فأجابوه بمثل ذلك فقال : إنا لله ماتت الهمم واختصره في نحو مما اختصر « التفسير » وفرغ من تصنيفه ومن عرضه ــ أى قراءته ــ عليه يوم الأربعاء لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر . سنة ثلاث وثلاث مائه ، وقطعه ــ أى ختمه وانتهى فيه عند الكلام ــ على آخر سنة اثنتين وثلاث

مائه » .

قال الخطيب :

وسمعت السمسمي يحكى أن ابن جرير مكث أربعين سنة ، يكتب في كل يوم منها اربعين ورقة ، وحدث تلميذه أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرقاني في كتابه المعروف بكتاب (الصله) ، وهو كتاب وصل به (تاريخ بن جرير) أن قوما من تلاميذ بن جرير ، حصلوا أيام حياته ـ أى جمعوها ـ منذ بلغ الحلم إلى أن توفى وهو ابن ستة وثمانين سنه ، ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته فصار منها على كل يوم أربع عشرة ورقه . وهذا شيء لا يتهيأ لمخلوق إلا بحسن عنايه الخالق . انتهى تبارك الله ماذا تبلغ الهمم .

وقد ولد ابن جرير سنة ٢٢٤ ، وتوفى سنة ٣١٠ فعاش ٨٦ سنة ، وإذا اطرحنا منها سنه قبل البلوغ وقدرناها بأربع عشر سنة يكون قد بقى ابن جرير ثنتين وسبعين سنة يكتب كل يوم ١٤ ورقه فإذا حسبنا أيام الاثنتين والسبعين سنة ، وجعلنا لكل يوم منها (١٤) ورقة تصنيفا كان مجموع ما صنفه الامام ابن جرير نحو (٣٥٩) الف ورقة .

وقد اعتبروا كلا من تاريخه وتفسيره نحو ثلاث ألف ورقه ، فيكون الكتابان مجموعهما نحو سبعة آلاف ورقه أو ثمانية آلاف ورقه وقد جاء التاريخ مطبوعا في إحدى عشر جزء كبيرا وجاء التفسير مطبوعا في ثلاثين جزءا كبيرا ، من الأجزاء الكبار التى يكون كل جزءا منها مجلدا .

فاحسب حساب الباقي من أوراق مصنفاته ، وهو (٣٥١) ألف ورقه لتعرف كم تبلغ مؤلفاته هذا الامام الذى كان في علومه بمثابة مجمع علمي واسع الفنون ، وفي كثرة تأليفه بمثابة دار للنشر وهو فرد واحد بنفسه ، يكتب بقلمه لنفسه ، ويؤلف على ورقه بنفسه ، ويخرج للناس فكره وعلمه : عسل مصفى وذبدا شهيا ، وماكان يكون له كل ذلك ، لولا أنه كان يكسب وقته ويدرى كيف يملأه بالاستفاده والتأليف .

قال القاضي أبو بكر بن كامل : أحمد بن كامل الشجرى ــ تلميذ بن جرير وصاحبه ، يصف انتظام أوقات ابن جرير وأعماله رحمه الله تعالى «كان إذا أكل نام في الخيش « ثياب في نسجها رقه ، وخيوطها غلاظ ، تتخذ من مشاقه الكتان ، تلبس في الحر عند النوم لبرودتها على الجسم » ، في قميص قصير الاكمام ، مصبوغ بالصندل وماء الورد ، ثم يقوم فيصلى الظهر في بيته ، ويكتب في تصنيفه إلى العصر . ثم يخرج فيصلى العصر ، ويجلس للناس يقرىء ويقرأ عليه إلى المغرب ، ثم يجلس للفقه والدرس بين يديه إلى العشاء الآخر ، ثم يدخل منزله وقد قسم ليله ونهاره في مصلحة نفسه ، ودينه والخلق ، كما وفقه الله عز وجل» . انتهى

وقال الاستاذ محمد كردعلي ، في كتابه (كنوز الاجداد ص ١٢٣) في ترجمة الامام ابن جرير الطبري . وما أُثر عنه أنه أضاع دقيقة من حياته في غير الافادة والاستفاده ، روى المعافي بن زكريا عن بعض الثقاة ، أنه كان بحضرة أبي جعفر الطبري رحمه الله تعالى قبل موته وتوفى بعد ساعة أو أقل منها ، فذكر له هذا الدعاء عن جعفر بن محمد فاستدعى محبرة وصحيفة فكتبه ، فقيل له : افى هذه الحال ؟ فقال : ينبغى للانسان ألا يدع اقتباس العلم حتى الممات . فرحمه الله وجزاه عن العلم والدين والإسلام وأهله خير الجزاء .

ابن شاهين :

وقال الحافظ الذهبي في (تذكرة الحفاظ ٣ : ٧٨٩) في ترجمة المحدث (ابن شاهين) المولود سنة ٢٩٧ والمتوفى سنة ٣٨٥ رحمه الله تعالى عن ٨٨ سنة .

« هو الحافظ الامام المفيد المكثر ، محدث العراق ، أبو حَفْص عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي ، الواعظ المعروف بابن شاهين صاحب التصانيف صنف شيئا كثيرا ».

قال أبو الحسين بن المهتدى بالله ــ تلميذه ــ : قال لنا ابن شاهين صنفت ثلاث مئة مصنف وثلاثين مصنفا ، منها (التفسير الكبير) ألف جزء ، ومنها المسند ، ألف وثلاث مئة جزء ، والتاريخ مائة وخمسون جزءا ، (والزهد) مئة

جزءا .

قال محمد بن عمر الداودي القاضي : سمعت ابن شاهين يقول : (حسبت مااشتريت من الحبر إلى هذا الوقت فكان سبعمائة درهم قال ابن أبي الفوارس : صنف ابن شاهين مالم يصنفه أحد) . انتهى ..

ويحتل الذروه في مقام المحافظة على الزمن ، ومعرفة نفاسته ، وغلاء قيمته ، والحرص على ملء الأوقات بالأعمال الزاكيات والاستفادة من الخطرات والحظات تأليفا وتفكيرا ، وتذكرة وتذكيرا : ماجاء في سيرة إمامين جليلين من كبار رجال فقهاء السادة الحنابله ، بل من كبار أئمة المسلمين الأول منهما .

ابن عقيل الحنبلي :

الامام أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي تلميذ الحافظ الخطيب البغدادي ، والثاني الامام أبو الفرج بن الجوزي تلميذ تلاميذه أبي الوفاء بن عقيل ، رحمهما الله تعالى ، فانقل من سيرة كل واحد منهما سطورا تغنى في هذا المقام عن كتاب كبير ، فأقول :

أما الامام أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي (على بن عقيل البغدادي فقال الحافظ ابن رجب الحنبلي في « زيل طبقات الحنابلة » في ترجمته الحافلة الحافزه ١ : ١٤٢ ـــ ١٦٢ ومن « المنتظم لابن الجوزى ٩ : ٩٢ و ٢١٢ ـــ ٢١٥ » . ما ملخصه : «ولد سنة ٤٣١ وتوفى سنة ٥١٣ وكان من أفاضل العالم ، واذكياء بنى آدم ، مفرط الذكاء ومتسع الدائرة في العلوم وكان يقول : إنى لا يحل لى أن اضيع ساعة من عمري حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة أو مناظرة ، وبصري عن مطالعة ، أعملت فكري في حالة راحة وأنا منطرح ، فلا أنهض إلا وقد خطر لي مأأسطره ، وإنى لأجد من حرصى على العلم وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنة .

وأنا اقصر بغاية جهدي أوقات اكلي ، حتى اختار سف الكعك وتحسيته بالماء على الخبز ، لاجل مابينهما من تفاوت المضغ توفرا على مطالعة أو تسطير فائدة لم

ادركها فيه ، وأن اجل تحصيل عند العقلاء ، باجماع العلماء ، هو الوقت وهو غنيمه تنتهز فيها الفرص ، فالتكاليف كثيرة والأوقات خاطفه .

قال الشيخ ابن الجوزي : كان الامام ابن عقيل دائم الاشتغال بالعلم وكان له الخاطر العاطر ، والبحث عن الغوامض والدقائق وجعل كتابه المسمى (بالفنون) مناطا لخواطره وواقعاته .

وله تصانيف كثيرة من أنواع العلوم نحو العشرين ، وأكبر تصانيفه كتاب الفنون وهو كتاب كبير جدا — فيه فوائد كثيرة جليلة — في الوعظ والتفسير والفقه ، وأصول الفقه ، وأصول الدين ، والنحو ، واللغة ، والشعر ، والتاريخ ، والحكايات .

وفي مناظراته ومجالساته التى وقعت له وخواطره ونتائج فكره ، قيدها فيه .

قال الحافظ الذهبي : لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب حدثنى من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربع مئه . قال بن رجب : وقال بعضهم : وهو ثمانى مئه مجلده) . انتهى .

وهو القائل رحمه الله تعالى فى فاتحة القسم الأول المطبوع من كتابه (الفنون) : «أما بعد فإن خير ماقطع به الوقت ، وشغلت به النفس ، فتقرب به إلى الرب . جلت عظمته : طلب علم اخرج من ظلمه الجهل إلى نور الشرع ، وذلك الذى شغلت به نفسى وقطعت به وقتي .

فما ازال اعلق ما استفيده من الفاظ العلماء ومن بطون الصحائف ، ومن صيد الخواطر « وتسمية ابن الجوزي » أحد كتبه « صيد الخاطر » مستفاده ومقتبسه من كلام أبي الوفاء بن عقيل رحمهما الله تعالى . التى تنسرها المناظرات والمقابسات في مجالس العلماء ، ومجامع الفضلاء ، طمعا في أن يعلق بى طرف من الفضل أبعد به عن الجهل ، لعلى أصل إلى بعض ما وصل إليه الرجال قبلى .

ولو لم يكن من فائدته عاجلا إلا تنظيف الوقت عن الاشتغال برعونات الطباع ، التى تنقطع بها أوقات الرعاع لكفى ، وعلى الله قصد السبيل ، وهو

حسبي ونعم الوكيل» . انتهى ..

قال ابن الجوزي : ولما أدركت الوفاء للامام أبي الوفاء ابن عقيل واحتضر بكى النساء فقال أبو الوفاء قد وَقَّعْتُ عن الله خمسين سنه أى أنه كان يوقع الفتاوي التى يبين فيها أحكام الله في الوقائع والحوادث التى تقع للناس ، فكان يُوَقِّعُ فيها نيابة عن الله تعالى ، فدعوني اتهنأ بلقائه .

ولم يخلف هذا الامام الجليل من الدنيا سوى كتبه وثياب بدنه ، وكانت بمقدار كفنه وأداء دينه ، رحمه الله تعالى وجزاه عن العلم خيراً .

فانظر أيها القارىء الكريم ــ رعاك الله وأياى ــ كيف يثمر أعمال الخاطر وحفظ الوقت ، وأدب النفس في الخير والعلم ، أنه ليثمر ثمرات لاتكاد تصدق وأنها لصدق ، يثمر (ثماني مئه مجلده) ، أكبر كتاب في الدنيا ، يؤلفه فرد واحد من الناس أبو الوفاء بن عقيل ، إلى جانب تأليف كثيره غيره ألفها ، تبلغ نحو العشرين مؤلفا ، وبعضها في عشر مجلدات .

وما أصدق وأجمل ماقاله الامام بهاء الدين بن النحاس الحلبي النحوى (محمد بن إبراهيم) ، المتوفى سنة ٦٩٨ رحمه الله تعالى ، إذ يشير بقوله الآتى إلى أن ضم القليل إلى القليل مع الدوام عليه يتكون منه الكثير الهائل العجيب ، كما حصل لابى الوفاء بن عقيل ثمانى مئه مجلده يقول بهاء الدين بن النحاس الحلبي كما في ترجمته في (بغية الوعاد) للسيوطي . ص ٦ .

اليــــوم شيءٌ وغــــداً مِثلَـــهُ　　　من نُخبِ العلـم التـى تُلْتَقَــطْ
يَحصُلُ المرء بهِـــا حكمـــةٌ　　　وإنما السَّيـــلُ اجتماعُ النُقَــطْ

وأما الامام أبو الفرج بن الجوزي « عبد الرحمن بن على الحنبلي البغدادي » فقد ولد سنة ٥٠٨ وتوفى سنة ٥٨٧ وعاش تسعا وثمانين سنة وألف تاليف أربت على خمسمائه كتاب .

وإليك نبذه من سيرته ، لتشهد كيف كان يعرف شرف الوقت وقيمته وكيف كان يكسب الوقت إذا زاره الضيوف أو نزل به ثقلاء بطَّالون . قال رحمه الله

تعالى ، كما في كتابه (صيد الخاطر) والآداب الشرعية لابن مفلح الحنابلي : «ينبغي للانسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته ، فلا يضيع منه لحظة في غير قربه ، ويقدم — فيه — إلا فضل فالافضل من القول والعمل . ولتكن نيته في الخير قائمه من غير فتور ، بما لا يعجز عنه البدن من العمل ، كما جاء في الحديث الشريف : «**نية المؤمن خير من عمله**» . وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات فنقل عن عامر بن عبد قيس — أحد التابعين العباد الزهاد — أن رجلا قال له : كلمنى . فقال له عامر : امسك الشمس» .

وقد رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعا عجيبا : إن طال الليل فحديث لاينفع ، أو بقراءة كتاب فيه غزل وسمر ، وإن طال النهار فللنوم ، وهم في أطراف النهار على دجله أو في الاسواق ، وكان ابن الجوزي يعيش في بغداد فشبهتهم بالمتحدثين في سفينه وهى تجري بهم ، وما عندهم خبرا ، ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود فهم في تعبئه الزاد والتهيؤ للرحيل ، فالله الله في مواسم العمر ، البدار البدار قبل الفوات ونافسوا الزمان .

وأعوذ بالله من صحبة البطَّالين ، لقد رأيت خلقا كثير يجرون معي فيما اعتاده الناس من كثرة الزيارة ، ويسمون ذلك التردد : خدمة ويطيلون الجلوس ويجرون في أحاديث الناس وما لايعني ، ويتخلله غيبه ، وهذا شيء يفعله في زماننا كثير من الناس وربما طلبه المزور ، وتشوق إليه واستوحش من الوحدة وخصوصا في أيام التهاني والأعياد ، فتراهم يمشى بعضهم إلى بعض ولا يقتصرون على الهمناء والسلام ، بل يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان .

فلما رأيت الزمان أشرف شيئاً ، والواجب انتهى به يفعل الخير كرهت ذلك وبقيت معهم بين امرين إن أنكرت عليهم وقعت وحشة لموضع قطع المألوف ، وأن تقبلته منهم ضاع الزمان ، فصرت أدافع اللقاء جهدي ، فإذا غلبت قصرت في الاكلام لا تعجل الفراق . ثم أعددت أعمالا لاتنفع من المحادثه لأوقات لقائهم ، لئلا يمضي الزمان فارغا ، فجعلت من الاستعداد للقائهم قطع الكاغد — أى قص الورق — وبرى الاقلام — وحزم الدفاتر ، فإن هذه الأشياء لابد

منها ، ولا تحتاج إلى فكر ، وحضور قلب ، فأرصدتها لأوقات زيارتهم لئلا يضيع شيء من وقتي .

ولقد شاهدت خلقا كثيرا لا يعرفون معنى الحياة ، فمنهم من أغناه الله عن التكسب بكثرة ماله ، فهو يقعد في السوق أكثر النهار ينظر إلى الناس ، وكم تمر به من آفة ومنكر ، ومنهم من يخلو بلعب الشطرنج ، ومنهم من يقطع الزمان بحكاية الحوادث عن السلاطين والغلاء والرخص إلى غير ذلك ، فعلمت أن الله تعالى لم يطلع على شرف العمر ومعرفة قدر أوقاته العافية إلا من وفقه والهمه اغتنام ذلك . ﴿**وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**﴾ . من (سورة فصلت آية ٣٥) . نسأل الله عز وجل أن يعرفنا شرف أوقات العمر ، وقد كان القدماء — يعني السلف — يحذرون من تضييع الزمان . قال الفضيل بن عياض :

أعرف من يعد كلامه من الجمعه إلى الجمعه ، ودخلوا على رجل من السلف ، فقالوا : لعلنا شغلناك ؟ فقال أصدقكم ، كنت اقرأ فتركت القراءة لأجلكم ، وجاء عابد إلى السرى السقطي ، فرأى عنده جماعة ، فقال : صرت مناخ البطالين . ثم مضى ولم يجلس .

ومتى لان المزور طمع فيه الزائر فأطال الجلوس ، فلم يسلم من اذى . وقد كان جماعة قعدوا عند معروف الكرخي ، فأطالوا ، فقال ، إن ملك الشمس لايفتر عن سوقها ، فمتى تريدون القيام ؟ .

فائـــدة :

والصبر على طلب العلم مدار الحصول عليه وما حصل للسابقين من علم وورع وتقوى وتصانيف إنما كان بالصبر وأحسن ماقيل في وصفه حبس النفس عن المكروه وعقد اللسان عن الشكوى والمكابده في تحمله وانتظار الفرج وفي صحيح البخاري معلقا وقال عمر : «وجدنا خير عيشنا بالصبر» . وعن أبي سعيد الخدرى — رضى الله عنه — : «أن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فلم يسأله أحد إلا أعطاه ، حتى نفذ ماعنده . فقال لهم حين نفذ كل شيء انفق

بيده : مايكون عندي من خير لا أدخره عنكم ، وإنه من يستعف يعفه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ولن تعطوا عطاءا خيرا وواسع من الصبر » .

ومن النصائح المعينه على شحذ الهمه واذكاء القريحه ما قاله الأديب أبو على الحسن بن رشيف القيرواني في كتابه (العمده في محاسن الشعر وآدابه ، ونقده) ٢٠٨/١ في الباب الذي عقده بعنوان (باب عمل الشعر وشحذ القريحة له) . قال : « ومما يجمع الفكره استلقاء الرجل على ظهره ، وعلى كل حال فليس يفتح مقفل بحار الخواطر مثل مباكرة العمل بالاسحار ، عند الهبوب من النوم لكون النفس مجتمعة لم يتفرق حسها في أسباب اللهو والمعيشه أو غير ذلك مما يعيبها وإذ هى مستريحه جديدة كإنما انشئت نشأة أخرى ولأن السَّحرَ الطف هواء وأرق نسيماً وأعدل ميزانا بين الليل والنهار .

وإنما لم يكن العشاء كالسحر ـــ وهو عديله في التوسط بين طرفى الليل والنهار ـــ لدخول الظلمه فيه على الضياء بضد دخول الضياء في السَّحرَ على الظلمه ، ولأن النفس فيه كالة مريضة من تعب النهار وتصرفها فيه ومحتاجة إلى قوتها من النوم متشوقة نحوه . فالسَّحرَ أحسن لمن أراد أن يصنع أى يصنع الشعر ويؤلف أو ينشىء أو يدرس المعضلات أو المشكلات .

وأما لمن أراد الحفظ والدراسه وما أشبه ذلك فالليل ، قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ **إن ناشئة الليل هى أشد وطأً وأقوم قيلا** ﴾ .

فصل : في الجد والمواظبه والهمه

قال صاحب تعلم المتعلم رحمه الله تعالى :

ثم لابد من الجد والمواظبه والملازمه لطالب العلم . وإليه الاشاره في القرآن قوله تعالى : ﴿ **يايحيى خذ الكتاب بقوة** ﴾ . (مريم ١٩) .

وقوله تعالى : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ (العنكبوت ٢٩) . قيل : من طلب شيئا جَدّ وجد ، ومن قرع الباب ولج ، وقيل : بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى .

قيل : يحتاج في التعلم والتفقه إلى جد الثلاثه : المتعلم والاستاذ والأب . إن كان في الاحياء .

أنشد الشيخ الأمام الأجل الاستاذ شديد الدين الشيرازي رحمه الله للشافعي رحمه الله :

الجد يدنى كل أمـــــــر شاسع ... والجد يفتـــح كل باب مغلـــق
وأحـــق خلـــق الله بالهم امـــرء ... ذو همة يبلى بعـــيش ضيـــق
ومـن الدليـل على الـقضاء وحكمـه ... بؤس اللبيب وطـيب عيش الأحمق
ولكـن من رزق الحجا حرم الغنى ... ضدان يفترقـــان أى تفـــرق

(في ديوانه ص ١٣٢ ــ ١٣٣ مع خلاف في الترتيب وفروق في الألفاظ وسقط البيت الأخير وأورده في : الوفيات ٤ ــ ١٦٦ مع أبيات أخرى من غير نسبه ومنها :

إن الـذى رزق اليسارى ولم يصب ... حمداً ولا أجـــراً لغير موفـــق
وإذا سمعت بأن مجدوداً حوى ... عودا فأثمر في يديـــه فصدق
وإذا سمعت بأن محرومـــا أتى ... ماء ليشرب به فقـــاض فصدق

ووردت في أدب الدنيا والدين ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ مع اختلاف في بعض الألفاظ .

ولغيره :

تمنـيت أن تمسى فقيرا مناظـــرا ... بغير عنـــاء فالجنـــون فنـــون
ولـيس اكتساب المال دون مشقـة ... تحملهـا فالعلـم كيـف يكـون

قال أبو الطيب(*) :

ولم أر في عيـــوب النـــاس عيبـــا　　　كنـــــقص القادريـــــن على التمام

(*) في الديوان في شرح العكبري : ٤ /١٤٥ من قصيدته المشهورة التى يذكر فيها الحمى التى كانت تفشاه في مصر . ومطلعها :

ملـــــــــــــوكما يجل عن الملام　　　ووقـــوع فعالـــه فوق الكـــلام

وقبل البيت الشاهد :

من يجد الطريـــــق إلى المعـــالي　　　فلا يذر المطـــــى بلا سنـــــام

يقول العكبري في شرحه :

لا عيب أبلغ من عيب من قدر أن يكون كاملا في الفضل ، فلم يكمل أى لاعذر له في ترك الكمال إذا قدر على ذلك ثم تركه ، والعيب الزم له من الناقص الذى لايقدر على الكمال :

والمتنبى (٣٠٣/ ٣٥٤) : هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي ، ولد بالكوفة في محلة تسمى كندة . ونشأ بالشام ، ثم تنقل في البادية يطلب الادب والعلم وعلم العربية وأيام الناس ، وقال الشعر صبيا ، وتنبأ في بَادِيَّة السَّمَاوه (بين الكوفه والشام) فتبعه كثيرون ، وقبل أن يستفحل أمره فخرج إليه لؤلؤ (أمير حمص ونائب الأخشيد) فأسره وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه ، ووفد على سيف الدولة ابن حمدان صاحب حلب) . سنة ٣٣٧ فمدحه وحظى عنده ومضى إلى مصر فمدح كافور الأخشيدي ، وطلب منه أن يوليه فلم يوله كافور فغضب أبو الطيب وانصرف يهجوه ، وقصد العراق في بلاد فارس وحين عودته إلى الكوفة عرض له فاتك بن أبى جهل الاسدى في الطريق واقتتل الفريقان وقتل المتنن وابنه محسود وغلامه مفلح بالنعمانيه . وقد تناول ديوان الأدباء قديماً وحديثا بالشرح والتعليق والموازنه والنقد وماله وماعليه من مصادر ترجمته الوفيات : ١ ـــ ٣٦ ، معاهد التنصيص : ١ ـــ ٢٧ وابن الوردي : ١ ـــ ٢٩٠ . وابن الشحنه : حوات سنه ٣٥٤ ولسان الميزان : ١٥٩ . وتاريخ بغداد : ٤ ـــ ١٠٢ . والمنتظم : ٧ /٢٤

والفهرست : ١ ــ ١٦٩ . والبداية ١١ /٢٥٦ . وتهذيب الاسماء واللغات : ٢ /٢٨٥ . ولابد لطالب العلم من سهر الليالي كما قال الشاعر :

بقــدر الكــد تكـتسب المعــالي ... ومن طلب العــلا سهــر الليــالي
تروم العــز ثم تنــام ليـــلا ... يغـوص البحـر من طلب الـلالي
علـو القــدر بالهمـم العــوالي ... وعــز المرء في سهــر الليــالي
تركت النــوم ربي في الليــالي ... لأجـــل رضاك يامـــولى الموالي
ومـــن رام العـــلا من غير كد ... أضاع العمـــــر في طلب المحال
فوفقنـــي إلى تحصيـــل علـــم ... وبلغنـــي إلى أقصى المعـــالي

قيل اتخذ الليل جملا تدرك به أملا :

(قال الزرنوجى رحمه الله) وقد اتفق لى نظم في هذا المعنى :

من شاء أن يحتــوى امالـــه جملا ... فاليتخـذ ليلــه في دركهــا جملا
اقلل طعامك كى تحظى به سهــرا ... إن شئت ياصاحبى أن تبلغ الكملا

وقيل : من أسهر نفسه بالليل فقد فرح قلبه في النهار :

ولابد لطالب العلم من المواظبه على الدرس والتكرار في أول الليل وآخره فإن مابين العشائين ووقت السهر وقت مبارك .

وقيل :

يا طالب العلــم باشر الورعـــا ... وجنب النــوم واتــرك الشبعــا
داوم على الـــدرس لا تفارقـــه ... فالعلــم بالــدرس قام وارتفعــا

ويغتنم الحداثه وأيام الشباب ، كما قيل :

بقــدر الكــد تعطــى ماتــروم ... فمــن رام المنــى ليــلا يقـــوم
وأيـــام الحداثـــة فاغتنمهـــا ... ألا أن الحداثـــة لاتــــدوم

ولايجهد نفسه جهدا يضعف النفس حتى ينقطع عن العمل ، بل يستعمل الرفق في ذلك ، والرفق أصل عظيم في جميع الأشياء قال رسول الله ﷺ : « **إلا أن هذا الدين متين ، فاوغلوا فيه برفق ، ولا تبغض على نفسك عباده الله تعالى**

فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » . روى البخارى رقم ١٩٧٥ ومسلم (٢٥٩٢ ، ٢٥٩٣ ، ٢٥٩٤) أحاديث في الرفق قريبة من هذا .

(إن هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق) . وذكر صاحب الكشف ١ /٢٥٧ (٧٩٤) للشطر الأخير من الحديث بلفظ أن المنبت لا ظهرا أبقى ولا أرضا قطع ، ورواه البزار عن جابر بلفظ .

إن هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق ، فإن المنبت لا ظهرا ، وذكره السيوطي في الكبير ٩ /٢٢٧ /١ بألفاظ متعددة مخرجا عن البيهقى في الشعب والعسكرى في الأمثال عن جابر وقال ضعيف .

(٢) ونقله أبو سعيد الخادمى في كتابه (بريقه محموديه في شرح طريقة محمديه) ١ /١٨١ بلفظ : يا ميعاذ إن نفسك مطيتك فارفق بها وفي صحيح مسلم أحاديث في الرفق (٢٥٩٢ ، ٢٥٩٣ ، ٢٥٩٤) ومنها قوله يحرم الرفق يحرم الخير ، وقوله إن الله رفيق يحب الرفق ، وفي صحيح البخاري (١٩٧٥) في الصوم ، باب حق الجسم في الصوم .

وقال رسول الله ﷺ : « **ونفسك مطيتك ، فارفق بها** » . ولابد لطالب العلم من الهمة العالية في العلم ، فإن المرء يطير بهمته كالطير ، يطير بجناحيه .

قال أبو الطيب رحمه الله :

على قدر أهل العزم تأتي العزام … وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها … وتصغر في عين العظم العظام
احرص على كل علم تبلغ الكملا … لاتقف عند علم واحد كسلا
فالنحل ناحق من كل فاكهه … اياك بالحق هذا الشمع والعسلا
الشمع فيه ضياء في ضياءته … والشهد فيه شفاء يشفى العلا

ياطالب العلم أنت فارس ، وغيرك راجل ، علمك حارس ، يحشر الناس يوم القيامه عريانا وأنت بنور العلم لابس ، ويوضح لكل شيء منبر ، والعالم تحت العرش جالس .

ياطـالب العلـم الـزم الورعـا   واهجر النـوم واتـرك الشبعـا

ياطالب العلم فاجتهد بالليل والنهار ، فإن تحصيل العلم بالجهد والتكرار .

وإن لكل شيء آفة ، وآفة العلم ترك الجهد والتكرار .

والرأس في تحصيل الأشياء الجد والهمة فمن كانت همته حفظ جميع كتب محمد بن الحسن رحمه الله تعالى واقترن بذلك الجد والمواظبه فالظاهر أنه يحفظ أكثرها أو نصفها ، فأما إذا كان له همة عالية ولم يكن له جد أو كان له جد ولم يكن له همة عالية ، لا يحصل له العلم إلا القليل .

وذكر الشيخ الأمام الأجل الأستاذ رضى الدين النيسابوري رحمه الله في كتاب مكارم الاخلاق أن ذا القرنين لما أراد أن يسافر ليستولى على المشرق والمغرب ، شاور الحكماء وقال كيف أسافر لهذا القدر من الملك ؟ فإن الدنيا قليلة فانيه ، وملك الدنيا أمر حقير فليس هذا من علو الهمه فقال الحكماء : سافر ليحصل لك ملك الدنيا والآخرة فقال هذا حسن .

ورضى الدين هو رضى الدين النيسابوري صاحب الطريقة في علم الخلاف ، المعروفة بالرضوية في ثلاث مجلدات ، أخذ عنه الخلاف الركن العراقى وأبو الفضل الطاووسى صاحب الطريقة والركن أمام زاده (انظر الجواهر المضيئة ٢ /٣٧٠) .

وذو القرنين هو :

يقول ابن اسحاق فيما ينقله القرطبى في تفسيره ١١ /٤٥ كان من أهل مصر اسمه مرزبان بن مرديه اليوناني .. وقال ابن هشام واسمه الاسكندر بن فليس الرومي تلميذ ارسطاطاليس الفيلسوف وقد كان قبل الميلاد بنحو ٣٣٠ سنة وكان من أهل مقدونيا .. ويرى أبو الريحان البيروني في كتابه الاثار الباقيه عن القرون الخاليه . أنه من حمير . واسمه أبو بكر بن افريقش وسمى ذا القرنين : لأنه بلغ قرنى الشمس . أى مطلعها ومغربها .

وقال رسول الله ﷺ : «**إن الله تعالى يحب معالى الأمور ويكره سفاسفها**» .

وقيل :

فلا تعجـل بأمـرك واستدمـه　　　فمـا صلى عصاك كمستـديم

ذكر السيوطي في جامع الصغير عن أنس ، وقال : اخرجه الطبرانى بسند حسن وكذلك نقله المناوي لابن حبان في صحيحه . وكذلك ذكره السيوطي في الكبير ١ /١٥٧/ ٢ ، وقال رواه البارودي عن فاطمه بنت الحسين عن ابيها .

يقال صليت العصا بالنار . أى لينتها وقموتها ، والمعنى أن خير وسائل تقويم المعوج وإصلاح الفاسد الاستدامة والاستمرار والمواظبة .

قيل قال أبو حنيفة رحمه الله لابى يوسف رحمه الله كنت بليدا اخرجتك المواظبه وإياك والكسل فإنه شؤم وآفه عظيمه .

قال الشيخ الامام (أبو نصر الصفاري الانصاري) : «وهو أحمد بن اسحاق بن شبيب بن نصر بن شبيب ، أبو نصر الفقيه الأديب الصفار من أهل بخاري قال السمعانى له بيت في العلم إلى الساعه ببخارى ، ورأيت من أولاده جماعة وسكن أبو النصر هذا مكة ، وكثرت تصانيفه وانتشر علمه بها ومات بالطائف عام «٤٦١» وقبر بها وذكر الحاكم في تاريخ نيسابور فقال أبو نصر الفقيه والأديب قدم علينا حاجا وماكنت رأيت ببخاري مثله في سِنْه ، في حفظ الفقه ، والأدب ، وكان قد طلب الحديث مع أنواع من العلم ، وانشدنى من الشعر المتين من مصادر ترجمته : الجوهر المضيئه ١ /٥٩، ٦٠ والفوائد البهيه ١٤ ، ١٥ .

قال :

يانفس يانفس لا ترخى عن عمـل　　　في البر والعدل والاحسان في مهل
فكـل ذى عمـل في الخير مغتبـط　　　وفي بلاء وشؤم كل ذى كسل

قال الزرنوجى رحمه الله ، وقد اتفق لى فى هذا المعنى :

دعـى نفس التكـاسل والتـوانى　　　والا فاثبتـــي في ذا الهوان
فلـم أر للـكسالى الحظ تحظـى　　　سوى ندم وحرمـان الامـاني

وقيل :

كم من حيـــاء وكم عَجْـــز وكم ندم　　جم تولـــــد للانسان من كسل
اياك عن كسل في البـحث عن شبـه　　ماقد علـمت ومـا قد شك من كسل

وقد قيل : يحصل الكسل من قلة التأمل في مناقب العلم وفضائله فينبغي للمتعلم أن يتعب نفسه على التحصيل والجد والمواظبه بالتأمل في فضائل العلم . فإن العلم يبقى (ببقاء المعلومات) والمال يفنى كما قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه :

رضينـــا قسمـــة الجبـــار فينــــا　　لنـــا علـــم وللأعــــداء مال
وإن المال يفنـــــــــى عن قريب　　وأن العلـــم يبقـــى لايـــــزال

والعلم النافع يحصل به حسن الذكر ، ويبقى ذلك بعد وفاته فإنه حياه باقية أبديه .

وأنشد الأمام الشيخ الأجل ظهير الدين مفتى الأئمه الحسن بن على المعروف بالمرغناني رحمه الله تعالى رحمه واسعه :

والجاهلـــون فمـــوتى قبـــل موتهم　　والعـــالمون وإن ماتـــوا فأحيـــاء

وانشدنا شيخ الاسلام برهان الدين :

وفي الجهـل موت قبـل الموت لأهلـه　　فاجسامهـــا قبـــل القبـــور قبـــور
وإن أمـــرأ لم يحيـــى بالعلـــم ميت　　فلـــيس له حين الـــــنشور نشور

وقيل :

ذو العلـم حى خالـــد بعـــد موتـــه　　وأوصالـــه تحت التـــــراب رميم
وذو الجهل ميت وهـو يمشى على الثـ　　ـرى يظـن من الأحيـاء وهـــو عديم

وقيل :

حيـــاة القـــلب علـــم فاغتنمـــه　　ومـوت القـــلب جهـــل فاجتنبـــه

وقيل :

العلـــــم تاج للفتـــــى والعقـــــل طوق من ذهب
والعلـــــم نور يلتظـــــى والجهـــــل نار تلتهب

والمرغاني هو ظهير الدين الحسن بن علي المرغيناني ، فقيه روى له صاحب الهدايه كتاب الترمزى صنف في علم الشروط والسجلات وله فتاوى توفى حوالي سنة ٦٠٠ ترجم له الجواهر المضيئه ١ /١٩٨ والفوائد البهيه وكشف الظنون .

وأنشد شيخ الاسلام برهان الدين رحمه الله .

اذِ العلـم أعلى رتبـة في المراتب ومـن دونـه عز الـعلى في المواكب
فذو العلم يبقـى عزه متضاعفـا وذو الجهل بعد الموت تحت التيارب
فهيهات لا يرجو مداه من ارتقـى رقى ولى الملك والى الكتـائب
سامل عليكم بعض مافيـه فاسمعوا فَبِيَّ حصر عن ذكـر كل المنـاقب
هو النور كل النور يهدى عن العمى وذو الجهـل مر الدهـر بين الغياهب
هو الذروة الشمـاء تحمـى من التجـ ـا إليها ويمشى آمنـا في النـوائب
به ينتجـى والنـاس في غفـلاتهم به يرتجى والـروح بين التـرائب
به يشفـع الانسان من راح عاصيـا إلى درك الـنيران شر العـواقب
فمـن رامـه رام المراتب كلهـا ومـن حازه قد حاز كل المطـالب
هو المنصب الكلى ياصاحب الحجا إذا نلتـه هون بفـوت المنـاصب
فإن فاتك الدنيا وطـيب نعيمهـا فغـمض فإن العلـم خير المواهب

أُنْشِدَ لبعضهم :

إذا ما اعتـز ذو علـم بعلـم فعلـم الفقـه أولى باعتـزاز
فكـم طيب يفـوح لا كمسك وكم طير يطير ولا كبـاز

□□□□

الفصـل الثاني

مزية التعليم في الصغر وقول المروزى
(إنما تقبل الطينة الختم مادامت رطبة)

ويشتمل على المباحث الآتية :

(١) طرائف مدهشة عن التعلم في الصغر

(٢) إمكان التعلم في الكبر وأنه غير مستحيل

(٣) حديث «العلم في الصغر كالنقش في الحجر»

روى باسناده إلى الشافعى (٤) إنه قال :
تفقه قبل أن ترأس ، فإذا ترأست فلا سبيل إلى التفقه ، وروى باسناده إلى أبي محمد المروزى (٥) قال : كان يقال إنما تقبل الطينة الختم مادامت رَطْبة (٦) أى أن العلم ينبغى أن يطلب في طرأه السن (٧) .

فصل : (مزيه التعليم في الصغر وقوله : تقبل الطينة الختم مادامت رطبه)

(٤) محمد بن ادريس بن عباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد المناف القرشى المطلبى أبو عبد الله الشافعى المكى نزيل مصر .

أمه فاطمة بنت عبد الله الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب . قال أبو حاتم حدثنا أبى قال : سمعت عمر بن سواده يقول قال لى الشافعى : «ولدت بعسقلان فلما اتى على سنتان حملتنى أمى إلى مكة وكانت همتى في شيئين الرمى وطلب العلم فنلت من الرمى حتى كنت أصيب عن عشرة عشرة» .

وسكت عن العلم فقلت له : أنت والله في العلم أكثر منك في الرمى وقال أبو الحسن المغاربى سمعت المزنى يقول : سمعت الشافعى قال : «رأيت على بن أبى طالب في النوم فسلم على وصافحنى وخلع خاتمه فجعله في أصبعى ، وكان لى عم ففسرها لى فقال لي : أما مصافحتك لعلى فأمان من العذاب ، وأما خلع خاتمه وجعله في أصبعك سيبلغ اسمك مابلغ اسم على» .

حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وحفظ الموطأ لمالك وهو ابن عشر وافتى وهو ابن خمس عشرة سنة وكتب إليه عبد الرحمن بن مهدى وهو شاب أن يضع له كتابا فيه معانى القرآن وجمع قبول الاخبار فيه وحجه الاجماع وبيان الناسخ والمنسوخ ووضع له كتاب الرسالة . فكان ابن مهدى يقول : ماأصلى صلاة إلا

وإنى ادعوا للشافعى فيها .

ولد الشافعى سنة ١٥٠ ومات في آخر يوم من رجب سنة ٢٠٤ . وفضائل الشافعى ومناقبته أكثر من مثل هذه العجاله . « أنظر تهذيب التهذيب ٩ /٢٥ » .

(٥) أبو محمد المروزى هو : شقيق بن دينار المروزوى ـــ التهذيب ٩ /٣٤٩ . قال مفيده غفر الله له ولوالديه : « ... لا شك أن طلب العلم في الصغر له ميزته فهو يرسخ العلم في الذهن أكثر ولا يكن نهبا للنسيان والضياع وليس معنى هذا أن العلم في الكبير لا يتحقق بلى يتحقق وليس بذلك القدر الرفيع .

(٦) رطبة أى لينه .

(٧) طراه السن : يقال غلام طار وطوير كما طر شاربه . ويقال طر حوضه إذا طينه . ورجل طرير : ذو طره وهيئه حسن وجمال . وقيل هو المستقبل الشباب . وما اطره أى اجمله .

قال العباس بن مرداس وقيل الملتمس :

ويعجبك الطرير فتبتليه فيخلق ظنك الرجل الطرير

والمقصود أن يطلب العلم في استقبال العمر وبدايته والانسان اخضر في شبابه يانع لا أن ينتظر حتى إذا تقطعت به السبل وانتهى عمر الكد والجرى خلف الدنيا ركن إلى حلقه من حلقات العلم يطلب العلم والأدب والسلوك . لأنه لا يفيد الفائدة التامه ولا يستفيد من كثير من التوجيهات القرآنيه والارشادات السنيه كما قال الشاعر :

اضحى يمزق اثوابى ويضربنى أبعد شيبى يبغى عندى الادبا

وقد رأيت في كثير من بلدان المسلمين معظم الجالسين لتلقى العلم وسماعه من هم في سن متقدمه جدا ، قد ذهب البصر وذهب الخد واحدودب الظهر وانقطع سبل الشهوه فيهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وينبغى أن يطلب مع الصغر بشغف وهمه عاليه وللنظر إلى هذا المثال :
قال الذهبى في تذكرة الحافظ ٣ /١٥١ . «قال القاضي أبو الطيب الطبري : لما ورد نعى محمد بن أيوب الرازي بكيت وصرخت ومزقت القميص ، ووضعت التراب على رأسى فاجتمع على أهلى . وقالوا ماأصابك ؟ قلت : نعى إلى محمد بن أيوب منعتمونى الارتحال إليه . قالوا فسلونى واذنوا لى في الخروج واصحبونى خالى إلى نَسَا إلى الحسن بن سفيان ، ولم يكن هاهنا شعره ، وأشار إلى وجهه .

إنها همة عجيبه ورجال قل إن تلد النساء مثلهم وسلف سطر لنا تاريخا مجيدا وحضارة زاهيه عملية وعلميه وهاك مثال آخر أعجب من سابقه :

قال الذهبى : وقال ابن اسحاق سمعت مكحولا يقول :
«طفت الأرض في طلب العلم» ، وروى أبو وهب عن مكحول قال : «عتقت بمصر فلم أدع بها علما إلا حويته فيما أرى ثم اتيت العراق ثم المدينة فلم أدع بهما علما إلا حويت عليه فيما أرى ثم أتيت الشام فغربلتها» .

ومكحول هو عالم أهل الشام أبو عبد الله بن أبى مسلم الهذلى الفقيه الحافظ مولى أمرة من هذيل وأصله من كابل توفى سنة ثلاث عشرة ومائه (أنظر تذكرة الحافظ ١ /١٠٢) .

وذلك لان درجة العلم درجة وراثة الانبياء ولا تنال المعالى إلا بشق الأنفس وفي صحيح مسلم عن يحيى بن أبى كثير قال : «لايستطاع العلم براحة الجسم» .
وفي الحديث : «**حُفت الجنه بالمكاره وحُفت النار بالشهوات**» .

وصدق القائل :

تريديـــن ادراك المعـــالي رخـــيصة ... ولابـد دون الشهـد من أبـر النحـل

وكما قيل :

لا تحسبـــن المجد تمرا أنت آكلـــــه ... لا تبلـغ المجد حتـــى تلعـــق الصبرا

المبحث الأول

طرائف مدهشة عن تعلم السلف في الصغر

الشافعي :

وجاء في (توالى التانيس بمعالي محمد بن أدريس) للحافظ ابن حجر ص ١٠٥ . قال ابن أبي حاتم : «سمعت المزني يقول : قيل للشافعي كيف شهوتك للعلم ؟ . قال اسمع بالحرف ــ أى بالكلمة ــ مما لم أسمعه ، فتود اعضائي أن لها اسماعا تتنعم به مثل ماتنعمت به الاذنان . فقيل له : كيف حرصك عليه ؟ فقال : حرص الجموع المنوع في بلوغ لذته للمال فقيل له : فكيف طلبك له ؟ طلب المرأه المضله ولدها ليس لها غيره .

وبمثل هذا الشغف والعشق للعلم تنهض الأمم وتذخر الحضارات ويسطر التاريخ الأمجاد .

قال سفيان : «ولو رأيتنى ولى عشر سنين طولى خمسة اشبار ووجهى كالدينار ، وأنا كشعلة النار ، ثيابى صغار وأكامي قصار ، وذيلى بمقدار ، ونعلى كآذان الفار ، اختلف إلى علماء الأمصار ، كالزهرى وعمر بن دينار ، اجلس بينهم كالمسمار ، محبرتى كالجوزة ومقلمتى كالموزه ، وقلمى كاللوزه ، فإذا أتيت قالوا : وسعوا للشيخ الصغير ثم ضحك» . (أنظر سير أعلام النبلاء للذهبى ٨ /٤٠٤) .

وللأب بل للأم الدور العظيم في تشجيع الابناء فقد قالت أم سفيان : «يابنى خذ ؛ هذه عشرة دراهم ، وتعلم عشرة أحاديث فإذا وجدتها تغير في جلستك ومشيتك وكلامك مع الناس فاقبل عليه ، وأنا أعينك بمغزلي هذا وإلا فاتركه فإنى اخشى أن يكون وبالا عليك يوم القيامه» .

« صفة الصفوه ٣ /١٨٩ »

إنها الأم الرؤوم العاقله والمربيه الحضارية المتقدمه والتى انجبت علما أخذ عنه

عشرون ألف من حفظه الحديث والرواة والفقهاء إنه مدرسة عظيمة . نعم إنما تقبل الطينه الختم مادامت رطبة وما أحسن قول القائل :

أرانى أنس ماتعلمت في الكبر ... ولست بناس ماتعلمت في الصغر
وما العلم إلا بالتعلم في الصبا ... وما الحلم إلا بالتحلم في الكبر

المبحث الثاني

امكان التعلم في الكبر وأنه غير مستحيل

ولا ينبغي أن يغالي الناس في مسألة التعلم في الصغر وأهميته ليصلوا إلى أن الاشتغال بالفقه والعلم في الكبر غير ممكن . حتى أماتوا في نفوس الكبار الرغبة في التحصيل مع إمكان ذلك .. لقد تفقه الصحابه رضوان الله عليهم في الكبر . ومن ظل يطلب العلم في كل يوم من حياته ابن الجوزي فقبل موته بمدة يسيره قرأ القرآن بالرويات على ابن الباقلاني . قال الذهبى : «وقد قرأ بواسط وهو ابن ثمانين سنة بالعشر على ابن الباقلاني وتلا معه ولده يوسف» . تذكرة الحفاظ ١٣٤٨ وأنظر الذيل على طبقات الحنابله ١ /٤٠١ . وفي صحيح البخاري ١ /١٦٥ قال البخاري : «وقد تعلم أصحاب النبى ﷺ في كبرهم» .

المبحث الثالث

حديث العلم في الصغر كالنقش في الحجر

عن الحسن البصري من كلامه بلفظ : «العلم في الصغر كالنقش في الحجر» . أصله ورواه البيهقى وأخرجه ابن عبد البر عنه بلفظ : «طلب الحديث في الصغر كالنقش في الحجر» . ورواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف عن أبي الدرداء مرفوعا بلفظ : «مثل الذى يتعلم في صغره كالنقش في الحجر ومثل الذى يتعلم في كبره كالذى يكتب على الماء» . قال العلامة الهيثمى : رواه الطبرانى في الكبير وفيه مروان بن سالم الشامي ضعفه البخاري ومسلم وأبو حاتم .

قلت كم فعل هذا الحديث في بنى الاسلام من فعله فهددهم بالفشل لما فاتهم قطار التعليم بنذر يسير ورحلت قافلة زملائهم إلى المراحل التى بعدها . فتجدهم مساكين يلوكون هذا الحديث لوك البقر طعامها .

وكذلك من كان من الاباء وهمته ضعيفة تعلل بهذا الحديث الضعيف فارتكب جريمة تجهيل ابنائه وبناته بحجة أنهم كبروا والعلم في الكبر لاينفع فكثرت البطالة والمتشردون والمتسكعون فكان هذا الحديث دعوه للجهالة وحرب للعلم . وصواب كلام الحسن البصرى : أنه أراد الحث على العلم في الصغر والمبادرة إليه لأنه في الصغر خاليا من الشواغل وما صادف قلبا خاليا تمكن فيه كما قال الشاعر :

أتـــانى هواهـــا قبـــل أن أعـــرف الهوى
فصادق قلبـــا خاليـــا فتمكنـــا

قال المناوي رحمه الله تعالى في كتابه النافع فيض القدير شرح الجامع الصغير ونظمه نفطويه فقال :

أرانى أنس ما تعلـــمت في الـــكبر
ولست بنـــاس ماتعلـــمت في الصغـــر
ومـــا العلـــم إلا بتعلـــم في الصبـــا
ومـــا الحلـــم إلا بالتحلـــم في الـــكبر

ولــو فلــق القــلب المعلــم في الصبــا

لالقــى فيــه العلــم كالنــقش في الحجــر

ومــا العلــم بعــد الشيب إلا تعسف

إذا كَلَّ قلب المرء والسمــع والبــصر

ثم قال المناوي رحمه الله : «وهذا غالبى ــ فقد تفقه القفال والقدورى بعد الشيب ففاقوا الشباب» .

قلت وكل حديث يمنع من العلم ويدعو للجهل ضعيف . وإن جمع شروط الصحه قيل هو شاذ ، مخالف لروايات الثقات الدالة على طلب العلم والمعرفه ومن هذه الأحاديث الضعيفه ماروا الطبراني في الكبير أيضا وفي سنده يوسف بن عطيه وهو متروك الحديث عن أبى أمامه رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : «**إيما ناشىء نشأ في العلم والعبادة حتى يكبر أعطاه الله يوم القيامة ثواب اثنين وتسعين صديقا**» . مجمع الزوائد ١٠ /١٢٥ ..

فالحديث مع ضعفه ، يُحْمَلُ أن صح على الحث على العلم في الصغر ولا يتعدى به إلى المنع والحرمان .

ومثله حديث ابن عباس رضى الله عنهما من كلامه : «مابعث الله نبيا إلا وهو شاب ولا أوتى عالم علماً إلا وهو شاب» .

رواه الطبراني في الأوسط وفيه قابوس بن طيان وثقه يحيى بن معين في رواية وضعفه في أخرى . وقال ابن عدى : أرجو أنه لابأس به وضعفه أحمد وللبيهقى في المدخل عن إسماعيل بن رافع رفعه بلفظ :

«من تعلم وهو شاب كان كرسم في حجر ومن تعلم في الكبر كان كالكاتب على ظهر الماء» . قال العجلوني في كشف الخفاء : «لكنه منقطع لأن إسماعيل ممن يروى عن سعيد المقيري وغيره من التابعين مع ضعفه» .

وعن ابن عبد البر بلفظ : «من تعلم القرآن في شبيبته اختلط القرآن بلحمه ودمه ومن تعلمه في كبره وهو يتغلب عليه منه ولا يتركه فله أجره مرتين» .

وروى البيهقى والديلمى عن ابن عباس من كلامه : بلفظ « من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتى الحكم صبيا » .

ثم قال المناوى : قال ابن الفرس لكنه قد يثبت في الكبير بالتكرار الكثير وشاهده قول الشاعر :

اطـــلب ولا تضجـــر من مطـــلب
فآفـــة الطـــالب أن يضجـــرا
أمـــا ترى الحبـــل بتكـــراره
في الصخـــرة الصمـــاء قد أثـــرا

وأشنع منه في الاستدال على منع التعلم ماروى بأسانيد واهيه تمنع من تعليم المرأة الكتابة . والقراءة لازمة لذلك إذ يستحيل تعلم القراءه دون تعلم الكتابه فمنع تعلم الكتابه منع لتعلم القراءة ومن ذلك :

(١) ماأخرجه ابن حبان في الضعفاء عن عائشة ـــ رضى الله عنها ـــ قالت : قال رسول الله ﷺ : « **لاتسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابه** » . الحديث وفي سنده محمد بن إبراهيم الشامي من الوضاعين : قال الذهبى : قال الدارقطنى : « كذاب » . وقال ابن عدى : « عامه احاديثه غير محفوظه » . قال ابن حبان : « لا تحل الرواية عنه إلا عند الاعتبار كان يضع الحديث » . وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية : « هذا الحديث لايصح ـــ محمد بن إبراهيم الشامي كان يضع الحديث » .

(٢) واخرجه الحاكم من طريق ابن حبان وفيه عبد الوهاب بن الضحاك . قال الذهبى في الميزان : « كذبه أبو حاتم وقال : النسائى وغيره متروك . وقال : قال الدارقطنى : منكر الحديث » . وقال العلامه السيوطي في اللآلى : قال الحافظ بن حجر في الأطراف بعد ذكر قول الحاكم ، صحيح الاسناد : « بل عبد الوهاب متروك وقد تابعه محمد بن إبراهيم الشامي عن شعيب بن إسحاق ، وإبراهيم رماه ابن حبان بالوضع » .

(٣) وأخرجه ابن حبان في الضعفاء أيضا عن ابن عباس مرفوعا «لاتعلموا نساءكم الكتابه» . الحديث وفيه جعفر بن نصر قال الذهبى : «متهم بالكذب» . وقال ابن عدى في الكامل : حدث عن الثقات بالبواطيل .

فهذه الروايات كلها ضعيفة جدا بل باطلة لايصح الاحتجاج بها .

ذكر هذه الروايات العلامه أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي في كتابه عون المعبود شرح سنن أبي داود ١٠ /٣٧٥ .. في تعليقه على ماقاله على القارىء في المرقاه حيث قال حول تعليم المرأة :

«يحتمل أن يكون جائزا للسف دون الخلق لفساد النسوان في هذا الزمان قال العظيم أبادي :

«وقد فصلت الكلام في هذه المسألة في رسالتي عقود الجمان في جوزا الكتابة للنسوان واجبت عن كلام القارىء وغيره من المانعين جوابا شافيا ، ومن مؤيدات الجواز :

(١) ما أخرجه البخاري في الأدب المفرد في باب الكتابه إلى النساء وجوابهم عن عائشة بنت طلحة قالت قلت لعائشة وأنا في حجرها وكان الناس يأتونها من كل مصر فكان الشيوخ ينتابوني لمكاني منها وكان الشباب يتاخوني فيهدون إلي ويكتبون إلي من الأمصار فأقول لعائشة : ياخاله هذا الكتاب فلان وهديته فتقول لي عائشة أى يابنيه فاجيبيه واثنيه فإن لم يكن عندك ثواب اعطيتك . فقالت تعطيني .

(٢) وفي وفيات الأعيان لابن خلكان في ترجمة فخر النساء شهده بنت ابى نصر الكاتبه كانت من العلماء وكتبت الخط الجيد وسمع عليها خلق كثير وكان لها السماع العالي توفيت ٥٧٤ هـ .

(٣) وقال العلامة المقريزي في نفح الطيب في ترجمة عائشة بنت أحمد القرطبيه ــ قال ابن حبان في المقتبس : «لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعد لها علما وفهما وأدبا وشعرا وفصاحه وكانت حسنه الخط تكتب

المصاحف» . توفيت سنة ٤٠٠ هـ .

روى أبو داود في سننه عن الشفاء بنت عبد الله قالت :

دخل على النبي ﷺ وأنا عند حفصه فقال لي : «**ألا تعلمين هذه رقيه النمله كما علمتيها الكتابه**» . فالحديث دال على ماتقدم تحقيقه من أن التعلم في الكبر جائز فحفصه لما تزوجها النبي ﷺ كان عمرها .....

والحديث صحيح وإن سكت عنه المنذرى رحمه الله تعالى فسكوته لايدل على ضعفه لأن اسناده متصل ورجاله عدول تامى الضبط ولا شذوذ فيه ولا علة .

قال في عون المعبود : (١٠ /٣٧٤) وهذا الحديث سكت عنه المنذرى ثم ابن القيم في تعليقات السنن ورجال اسناده رجال الصحيح إلا إبراهيم بن مهدى البغدادي المصيصي وهو ثقه .

والحديث أخرجه أحمد والنسائي والحاكم وصححه وفيه دلاله على تعليم الكبير والأنثى الكتابه والقراءه وغيرها من العلوم النافعه وأنه لا سن معينه وحد للعمر معين يحرم منه الانسان من فضيلة العلم والتعلم ، وما نراه في بعض دول المسلمين من تحجيم للعلم وذلك بتحديد حد أدنى وحد دونه كل ذلك مستورد من بلاد الكفار ومن الغرب وقد رجع الغرب عن هذا المسلك بعد أن تبين لعقلاء الكفار مضار حرمان الانسان العلم بسبب لا دخل له فيه .

الواجب على حامل العلم أن ينشد الزيادة ولو كبر :

وقد قص علينا القرآن الكريم والرسول ﷺ قصة موسى عليه السلام في طلبه علم ما لم يعلم عند عبد الله الخضر عليهما السلام .

(١) ولذا قال قتادة :

«لو كان أحد يكتفى من العلم بشيء لاكتفى موسى عليه» . ولكنه قال : «هل اتبعك» . ولا غرو إن شاع بين المسلمين هذه الحكمة .

«أطلب العلم من المهد إلى اللحد» . وحكمة أخرى تقول : «لايزال المرء عالماً ماطلب العلم فإذا ظن أنه علم فقد جهل» .

(٢) وقال ابن عباس ـــ رضى الله عنهما ـــ : «منهومان لا تنقضى نهمتهما ، طالب علم وطالب دنيا» .

(٣) وقيل لابن المبارك ؛ إلى متى تطلب العلم ؟ قال : «حتى الممات انشاء الله» .

(٤) وسئل أبو عمرو بن العلاء ، حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلم ، فقال : «مادامت تحسن به الحياة» .

(٥) وسئل سفيان بن عيينة من احوج الناس إلى طلب العلم ؟ قال : «اعلمهم» . (انظر جامع بيان العلم وفضله ١ /١٤و١١٥) .

(٦) قيل للمأمون : أيحسن بالشيخ أن يتعلم ؟
فقال : «إن كان الجهل يعيبه فالتعلم يحسن به» .

(٧) وقال مالك بن أنس :
«لاينبغى لأحد يكون عنده العلم أن يترك التعلم» .
(أنظر بيان جامع العلم ١ /١١٤و١١٥ .

وكان سلف الأمة حريصين على أن لا يمر يوم دون أن يكتبوا فيه شيئاً من العلم كثر أو قل ، وإلا عدوا هذا اليوم ضياعاً وغبناً . وفي هذا روى الأثر (٨) «إذا أتى عليَّ يوم لم أزدد فيه علماً يقربنى من الله عز وجل فلا بورك لى في طلوع شمس ذلك اليوم» .

قال ابن القيم قد رفع هذا إلى رسول الله ﷺ ورفعه إليه باطل . وفي مثله قال الشاعر :

إذا مر بى يوم ولم استفـــــــــــد هدى
ولم اكتسب علمــاً فمــا هو من عمــري

الفصـل الثالث

وقال عمر رضى الله عنه «تفقهوا قبل أن تسودوا»

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول :

(أثر تفقهوا قبل أن تسودوا) . دراية ورواية وتخريجا .

المبحث الثاني :

أقوال في فقه أثر عمر رضى الله عنه (تفقهوا قبل أن تسودوا)

قال : وجاء عن امير المؤمنين (٨) عمر بن الخطاب أنه قال : « تفقهوا (٩) قبل أن تسودوا » ثم صاغه في اسنادين (١٠) له احداهما من طريق ابن سيرين (١١) عن الأحنف (١٢) بن قيس عن عمر ، والآخر عن الحسن (١٣) عن الأحنف عن عمر ، ثم قال : الصواب عن ابن سيرين كما ذكرنا أولا والله أعلم قال : وقال أبو عبيدة في حديث عمر « تفقهوا قبل أن تسودوا » . يقول : تعلموا العلم مادمتم صغارا قبل أن تصيروا سادة منظورا إليكم ، فإن لم تعلموا قبل ذلكم استحييتم أن تعلموا بعد الكبر ، فبقيتم جهالاً تأخذون من الاصاغر ، فتردى ذلك بكم .

فصل : وقال عمر رضى الله عنه : تفقهوا قبل أن تسودوا .

(٨) أمير المؤمنين والخليفه الراشد عمر بن الخطاب بن نفيل القرشى العدوى أبو حفص أفضل الأمة بعد أبى بكر الصديق وهو المحدث الملهم الذى ضرب الله الحق على لسانه وقلبه ، أمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزوميه ولد بعد الفجار الأعظم باربع سنين وذلك قبل المبعث النبوي بثلاثين سنة ، كان طويلا جسيما أصلع أشعر شديد الحمرة .

(الاصابة في تمييز الصحابه ٢ /٥١١)

المبحث الأول

مبحث في أثر «تفقهوا قبل أن تسودوا» دراية ورواية وتخريجا

(٩) الأثر رواه الدارمى في سننه رقم (٢٥٦) وعلقه البخاري في صحيحه (أنظر فتح الباري ١ /١٦٥) . وفيه الأمر بالعلم قبل أن تزحم المرء المسؤوليات الجسام فتحول بينه وبين حظه من التفقه والتعلم . ولا يمنع أن يتعلم بعد أن يسود لكن المشاغل تمنعه من التبحر والغوص في العلم ورحم الله البخاري فقد علق على خبر عمر رضى الله عنه « تفقهوا قبل أن تسودوا» . قال البخاري : «وبعد أن تسودوا» . على قاعدة الفقهاء : ما لايدرك كله لا يترك جله . وأنظر كشف الخفاء ١ /٣١٠ . فقد أحسن وأطال . إذ قد يحول بين المرء وبين التعلم في الصغر أمور وموانع خارجه عن ارادته .

ومع هذا فإن حكمة عمر حاصلة وواقعة فكم من إنسان فوت عليه المنصب الرفيع الكثير من الفقه وجعله يتعالى أو يستحى من الجلوس إلى من هو دونه في العمر والمنصب إلا من رحم . بل روى عن الامام مالك رحمه الله (٩٣ ـــ ١٧٩ هـ) . عن عيب القضاء . إن القاضي إذا عزل لا يعود إلى مجلسه الذى كان يتعلم فيه . (أنظر الجامع لابن أبي زيد القيرواني) .

وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى إذا تصدر الحَدَثُ فاته علم كثير ، الحدث الشاب الصغير و(أنظر فتح الباري ١ /١٦٦) . أنشد أحد الأئمه الشافعيه وقد آلت إليه مشيخة المذهب في بلده وقال :

خلت الديــــــــار فسرت غير مسود

ومـــــن البـــــلاء تفـــــردي بالسؤدد

(١٠) وقوله : «في اسنادين له» لا في كل طبقة من طبقات السند إننا في طبقة واحدة في طلاب الاحنف بن قيس الاسناد الأول عن ابن سيرين والاسناد الثاني عن الحسن وبقية الاسناد على ماهو عليه .

(١١) محمد بن سيرين الانصارى مولاهم أبو بكر البصري إمام وقته ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان . قال ابن سعد كان ثقة مأمونا عاليا رفيعا فقيها أماما كثير العلم ورعا وكان به همم وقال حماد بن زيد عن عاصم الأحول سمعت مورقا يقول : «مارأيت رجلا افقه في ورعه ولا أورع في فقهه من محمد بن سيرين» . وقال حماد بن زيد : مات الحسن أول يوم من رجب سنة عشرة ومائه وصليت عليه ومات محمد بن سيرين لتسع مضين من شوال منها .
(تهذيب التهذيب ٩ /٢١٤) ..

(١٢) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي السعدى أبو بحر البصري اسمه الضحاك وقيل صخر والأحنف لقب ، أدرك النبى ﷺ ولم يسلم . قال الحسن : مارأيت شريف قوم أفضل من الأحنف ومناقبه كثيره وحلمه يضرب به المثل . قليل الحديث ويروى بسند لين أن النبى ﷺ دعا له . مات سنة ٦٧ هـ .
(تهذيب التهذيب ١ /١٦٩) ..

(١٣) الحسن بن أبى الحسن يسار البصري أبو سعيد مولى الأنصار أمه خيرة مولاه أم سلمة . قال ابن سعد : ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ٢١ هـ . كان فصيحا رأى عليا وطلحة وعائشة — رضى الله عنهم — أجمعين .

قال الأعمش : مازال الحسن يعي الحكمة حتى نطق بها وكان إذا ذكر عند أبى جعفر يعنى الباقر قال : ذاك الذى يشبه كلامه كلام الانبياء مات في رجب سنة ١١٠هـ .

قال كاتب هذه السطور ولى تحقيق على رسالة الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز إبان خلافته حوت العديد من الفوائد — مطبوعات ابن تيميه — الكويت . وأنظر ترجمة الحسن مطولة في الحليه ٢ /١٣١ . والزهد لأحمد

ص ٢٥٨ /٢٦٩ . وصفة الصفوه ٣ /٢٣٣ . وطبقات ابن سعد ٧ /١٥٦ . وشذرات الذهب ١ /١٣٦ وميزان الاعتدال ١ /٥٢٧ وتهذيب التهذيب ٢ /٢٦٦ وتذكرة الحافظ ١ /٧١ والتاريخ الكبير ٢ /٢٨٩ . وفيات الأعيان ٢ /٦٩ . البداية والنهاية ٩ /٢٢٦ ـ ٢٧٤ .

المبحث الثاني

أقوال في فقه أثر عمر ـ رضى الله عنه ـ

«تفقهوا قبل أن تسودوا» . قال البخاري : «وبعد أن تسودوا . وقد تعلم أصحاب النبى في كبر سنهم» .

قول الحافظ :

وإنما عقبة البخاري بقوله : «وبعد أن تسودوا» . ليبين أن لا مفهوم له خشية أن يفهم أحد من ذلك أن السيادة مانعه من التفقه ، وإنما أراد عمر أنها قد تكون سبب للمنع لأن الرئيس قد يمنعه الكبر والاحتشام أن يجلس مجلس المتعلمين ولهذا قال مالك عن عيب القضاء : «إن القاضي إذا عزل لايرجع إلى مجلسه الذى كان يتعلم فيه» . وقال الشافعى : «إذا تصدر الحدث فاته علم كثير» .

قول ابى عبيدة :

في كتابه غريب الحدث قال : «معناه تفقهوا وأنتم صغار ، قبل أن تصيروا سادة فتمنعكم الانفه في الأخذ عمن هو دونكم فتبقوا جهالا .

شمر اللغوي :

قال الحافظ : وفسره شمر الغوى . (بالتزوج) فإنه إذا تزوج صار سيد أهله ولا سيما أن ولد له . قلت وهذا يختلف بالاختلاف طبائع الزوجه والزوج فمن طلبه العلم من ينفعه الزواج ويرد إليه شوارد الشبق . فيجتمع إليه الرأى وتعينه الزوجه ويأنس بالأطفال ولا ينزعج بشغبهم وصراخهم وحوائجهم بل يبتهج ويسر

بذلك وينشرح لتحصيل العلم والفوائد وقد رأيت من هذا الصنف بالحرمين الشرفين حماهما الله من كل سوء .

ومن طلبه العلم من تشغله الزوجه ويزعجه الأنجال عن التحصيل والضبط والحفظ فيتسرب حفظه وتقل حركته العلميه وينشغل بحوائجهم عن حاجة الكتب والكتابة ولله في خلقه شؤون .

قال الحافظ :

وقيل : «أراد عمر الكف عن طلب الرياسه لأن الذى يتفقه يعرف مافيها من القوائل فيتجنبها» . ثم قال : «وهو حمل بعيد ، إذ المراد بقوله « تسودوا » السياده وهى أعم من التزوج ولا وجه لمن خصصه بذلك لأنها قد تكون به وبغيره من الأشياء الشاغله لا صحابها عن الاشتغال بالعلم» .

قول الكرماني :

جوز الكرماني أن تكون من السواد في اللحية ، فيكون أمرا للشباب بالتفقه قبل أن تسود لحيته أو أمر للكهل قبل أن يتحول سواد اللحية إلى الشيب . قال الحافظ : «ولا يخفى تكلفة» .

قول ابن المنير :

قال : «مطابقة قول عمر للترجمة أنه جعل السيادة من ثمرات العلم ، وأوصى الطالب باغتنام الزيادة قبل بلوغ درجة السيادة ، وذلك يحقق استحقاق العلم بأن يغبط صاحبه ، فإنه سبب لسيادته .

ثم قال الحافظ :

والذى يظهر لى أن مراد البخاري : أن الرياسة وإن كانت مما يغبط بها صاحبها في العادة لكن الحديث دل على الغبطة لاتكون إلا بأحد أمرين : العلم أو الجود . ولا يكون الجود محموداً إلا إذا كان بعلم فكأنه يقول : تعلموا العلم قبل حصول رياسه لتغبطوا إذا غبطتم بحق . ويقول أيضا : إن تعجلتم الرياسه التى من عاداتها

أن تمنع صاحبها من طلب العلم ، فاتركوا تلك العادة وتعلموا العلم لتحصيل لكم الغبطة الحقيقية .

□□□□

الفصل الرابع

قوله : «الناس بخير ماأخذوا العلم عن الأكابر»

ويشتمل على :

المبحث الأول :

الاصاغر أهل البدع والأهواء

المبحث الثاني :

إمكان الاستفادة من صغار السن

المبحث الثالث :

حكم حديث (من اشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر)
دراية ورواية وتخريجا

المبحث الرابع :

هلاك العلم بأخذه من الاشرار

وهذا شبيه عندك ، لايزال الناس بخير ماأخذوا العلم عن أكابرهم فإذا أتاهم من أصاغرهم فقد هلكوا ، قال أبو عبيد (١٤) في الأصاغر تفسير آخر : بلغني عن ابن المبارك (١٥) أنه كان يذهب إلى الأصاغر إلى أهل البدع ولا يذهب إلى السن ، ثم ساق باسناده إلى أبي أمية الجمحي . قال : (١٦) « سئل رسول الله ﷺ عن اشرط الساعة قال : إن من اشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر » (١٧) .

فصل : الناس بخير ما أخذوا العلم عن الأكابر

(١٤) أبو عبيدة : تهذيب التهذيب ٨ /٣١٦ .

هو القاسم بن سلام البغدادي أبو عبيد الفقيه صاحب التصانيف روى عن ابن المبارك ويحيى القطان ووكيع وابن مهدى وابن عيينه ــ توفى بمكة سنة ٢٢٤هـ . وبلغ ٦٧ سنة قال الحاكم : (هو الامام المقبول عند الكل) ومناقبه وفضائله كثيرة جدا .

(١٥) ابن المبارك : تهذيب التهذيب ٥ /٣٨٢ .

عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي كانت أمه خوارزميه وأبوه تركيا قال أحمد لم يكن في زمانه أطلب للعلم منه جمع أمراً عظيما ما كان أحدا أقل سقطا منه ، كان رجلا صاحب حديث حافظ يحدث من كتاب . وقال ابن عيينه نظرت في أمر الصحابه فما رأيت لهم فضلا على ابن المبارك إلا بصحبتهم النبي ﷺ وغزوهم معه . كانت كتبه التي حدث فيها عشرين الفا وإحدى وعشرين ألف .

المبحث الأول

مبحث في أن الأصاغر أهل البدع والأهواء

أما الأصاغر بمعنى أهل الأهواء والبدع وخاصة من حصلت له مكانة اجتماعيه رفيعة كزعيم جماعة زعامة أدبيه أو رئيس لدولة أو صاحب أوراد وأذكار وطبول وقباب وقبر ونحو ذلك فإن أخذ العلم من هؤلاء يشوبه الكثير وخطره عظيم وشره معلوم إذ الرياسة والزعامة لها نشوة وسكرها أشد من سكر الخمر لأن سكر الخمر يزول بزواله أما الزعامه والفخامه والرياسه فإنها تنفخ في صاحبها فيفتي ويقضي بما راغ له ولا يسمع لغيره بل قد يتهمهم بالتخلف والرجعيه وقد شاع في يومنا هذا من الفتاوي المعاصرة والتى تُسَمِّى فقه القدامى بالفقه التقليدي يعنون بذلك أنه لا حركى أى لا يغير ولا يبدل في واقع الناس لأن المجتمع تبدل وتغير بالصناعات والتقنية الحديثه فلا بد من تجديد يساير هذه الحضارة ولابد من تقليل شأن الفقه القديم والكتب الصفراء والعلماء التقليديين والحواشي . ولاشك أن القائمين على هذه الدعوة من الصغار على معنى من المعاني التى تقدمت وهى مقصد أبى عبيد وابن المبارك .

ونسأل الله السلامة من حال أهل الضلال والزيغ ممن يركلون تراث هذه الأمة من فقه وأصول وفروع ثم ينعقون بأشياء وفتاوي تشبه كلام الخوارج وأهل الفرق الهالكه مع أنهم على قيادات رفيعة المستوى وجماعات كثيرة العدد والعدة وشاع قول القائل : الجاهل صغير وإن كان شيخا والعالم كبير وإن كان حدثا . وعليه قول الشاعر :

تعلـــم فلـــيس المرء يولـــد علمـــا
ولـــيس أخـــو علـــم كمـــن هو جاهـــل
وأن كبير القـــوم لا علـــم عنـــده
صغير إذا التـــفت إليـــه المحافـــل

وقد افتى واستفتى جماعة من صغار الصحابة منهم ابن عباس ومعاذ بن جبل وعتاب بن اسيد وولاهما رسول الله ﷺ ومع صغر سنهما ومثل هذا في العلماء كثير . (أنظر جامع بيان العلم وفضله ١ /١٥٧ ، ١٥٨) .

المبحث الثاني

إمكان الاستفادة من صغار السن

لايستنكف أن يستفيد مالا يعلمه ممن هو دونه منصبا أو نسبا أو سنا بل يكون حريصا على الفائدة حيث كانت والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها .

قال سعيد بن جبير : لا يزال الرجل عالما ماتعلم فإذا ترك التعلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل مايكون وأنشد بعض العرب :

وليس العمى طول السؤال وإنما
تمام العمى طول السكوت على الجهل

وكان جماعة من السلف يستفيدون من طلبتهم ماليس عندهم . قال أبو بكر عبد الله الزبير الحميدي (ت ٢١٩) . و(أنظر تذكرة الحفاظ ٢ /٣) قال : « صحبت الشافعي من مكة إلى مصر فكنت استفيد منه المسائل وكان يستفيد مني الحديث» . قاله بدر الدين بن جماعة الكناني في كتابه ــ تذكرة السامع في أدب العلم والمتعلم ص ٢٩ .

ثم قال : «وقال أحمد بن حنبل قال لنا الشافعي : أنتم أعلم بالحديث مني ، فإذا صح عندكم الحديث فقولوا لنا ، حتى أخذ به» . وصح رواية جماعة من الصحابة عن التابعين وأبلغ من ذلك كله قراءة رسول الله ﷺ على أُبي بن كعب وقال : «أمرني الله أن اقرأ عليك ﴿**لم يكن الذين كفروا**﴾» . رواه مسلم ١ /٢٦٩ .

المبحث الثالث

(١٦) حكم حديث «من اشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر»
دراية ورواية وتخريجا

رواه الطبراني عن أبى أمية الجمحى باسناد ضعيف ففي فيض القدير ٢ /٥٣٣ . رقم ٢٤٧٥ . قال الطبراني عن بعضهم :

(١٧) «يقال أن الأصاغر من أهل البدع» وأخرج الطبراني عن ابن مسعود ـــ رضى الله عنه ـــ : «لايزال الناس صالحين متماسكين ماأتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم فإذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا» .

وقال بعض الحكماء :

«سودوا كباركم لتعزوا ، ولا تسودوا صغاركم فتذلوا» . وأخرج ابن أبى خيثمه عن طريق مكحول عن أنس : «قيل يارسول الله : متى ينزعن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ قال إذا ظهر فيكم ماظهر في بنى إسرائيل : إذا ظهر الادهان في خياركم ، والفحش في اشراركم ، والملك في صغاركم ، والفقه في رزالكم» .

وفي مصنف قاسم بن أصبح «قال : ابن حجر صحيح» عن عمر رضى الله عنه قال : «فساد الناس إذا جاء العلم من قبل الصغير استعصى عليه الكبير ، وصلاح الناس إذا جاء العلم من قبل الكبير تابعه عليه الصغير» . (أنظر فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢ /٥٣٣) .

هلاك العلم بأخذه من الأشرار :

وعن عبد الله (١٨) قال : لايزال الناس بخير ماأخذوا العلم عن أكابرهم وعن أمنائهم وعلمائهم فإذا أخذوه عن صغارهم وشرارهم هلكوا (١٩) .

وروى باسناده إلى عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينوري (٢٠) قال : سألت عن قوله : «لايزال الناس بخير ما أخذوا العلم من أكابرهم» يريد لايزال الناس بخير ماكان علماؤهم المشايخ ولم يكن علماؤهم الأحداث ، لأن الشيخ قد زالت عنه متعة الشباب وحدته وعجلته وسفهه ، واستصحب التجربة والخبرة ، ولا يدخل عليه في علمه الشبهة ولايغلب عليه الهوى ، ولا يميل به الطمع ، ولا يستزله الشيطان استزلال الحَدَث ، ومع السن الوقار والجلاله والهيبة ، والحدث قد يدخل عليه هذه الأمور التى أمنت على الشيخ ، فإذا دخلت عليه وافتى هلك وأهلك ، وقال الخطيب : ولا يقضى بأن يكون راويا ومحدثا فقط .

(١٨) هو ابن مسعود بن غافل بن حبيب وأمه أم عبد بنت عبد بن سواء من هذيل لها كما له صحبه . اسلم بمكة وهاجر الهجرتين ، مات بالمدينه سنة ٣٢ هـ تهذيب التهذيب ٦ /٢٨ .

وقد كان سلف هذه الأمة يوجهون طلبة العلم لملازمة مشايخ بأعينهم قال عبدُ الله بن مبارك :

أيها الطـــــالب علمـــــا　　　أئت حماد بن زيـــــــــــد
فاقتـــبس علمـــاً وحلمـــاً　　　ثم قيــــــده بقيـــــــد

وهذا الشافعى يشكو سوء حفظه فيتجه بشكواه إلى العارف الزاهد وكيع بن الجراح . قال الشافعى رحمه الله تعالى :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لايعطى العاصي

والعالم هو من خاف الله واتقاه : ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ . (سورة فاطر آية ٢٨) . وقالت امرأة للامام الشعبي رحمه الله : «أيها العالم افتنى ، فقال لها : إنما العالم من خاف الله واتقاه» . (رواه الدرامى في سننه رقم ٢٦٤) .

المبحث الرابع
(١٩) هلاك العلم بأخذه من الاشرار

قوله : «فإذا أخذوه عن صغارهم وشرارهم هلكوا» .

تقدم الكلام عن أخذ العلم عن الصغار وقد يظن البعض أن العلماء ليس فيهم الاشرار وأن العلم يزين العبد وينفي عنه الخبث والشر ويجعله كله خيراً لكن الحقيقة والأدلة خلاف هذا الفهم الضعيف والتفسير المغلوط . ولا إله إلا الله من علماء سوء في يومنا هذا يحلون الحرام ويحرمون الحلال ويجانبون الدليل ويفعلون في أمة محمد ﷺ الأفاعيل وعددهم كبير وليس بالقليل منهم البلاطي الذى اتخذ الحاكم الفاجر صاحبا له فهو عند عتبة بابه صباح مساء يزين له فعله ويلتمس له المخارج والاعذار في تحكيم شرع الطاغوت ونبذ كتاب الله وراء الظهر ﴿**اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا**﴾ . وهم أول من تسعر بهم النار يوم القيامه كما في الترمذى وغيره . وقد وصف لنا النبى ﷺ هذا الصنف ففي الحديث أبى هريرة عند الترمذى بإسناد حسن قال رسول الله ﷺ : «**يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين السنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب . يقول الله عز وجل** : ﴿ابى يغترون أم على

يجترئون انى حلفت لابعثن على أولئك فتنة تدع الحليم حيراناً﴾ . وكان الأولى أن يرتفعوا ويسموا بعلوهم ويترفعوا بكلمة الحق إلى مراتب الأبرار والسادة الأخيار وأن يعملوا بأخبار الصادق المصدوق ومن ذلك :

ماأخرج ابن ماجة رقم ٤٠١١ ، والنسائي والترمزى رقم ٢١٧٥ ، وقال حسن وأبو داود رقم ٤٣٤٤ ، باسناد صحيح إلى أبى عبد الله طارق بن شهاب أن رجلا سأل النبى ﷺ ـــ وقد وضع رجله في الغرز ـــ (**أى الجهاد أفضل** . قال : كلمة حق عند سلطان جائر) . وقد أخرجه ابن ماجه باسناد حسن من طريق أبى أمامه ـــ رضى الله عنه ـــ

وفي هذا الحديث دليل على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من الجهاد المفترض على المسلمين وأنه في الأئمه الجائرين والأمراء الظالمين أفضل أنواعه لأنه يعرض نفسه للقتل ويجود بها لله تعالى ولهذا جاء في المستدرك عن جابر ـــ رضى الله عنه ـــ عن النبى ﷺ قال : « **سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله** » . قال الحاكم هذا حديث صحيح .

وأخرج البزار عن أبى عبيدة بن الجراح ـــ رضى الله عنه ـــ قال : يارسول الله أى الشهداء أكرم على الله عز وجل ؟ قال : « **رجل قام إلى والٍ جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله** » .

قال العلامة أحمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي الشهير بابن النحاس والمتوفى قتيلا بأيدى الافرنج سنة ٨١٤ رحمه الله : « وإنما كان أكرم الشهداء لأن الشرط في الشهيد في سبيل الله تعالى أن يبذل نفسه لتكون كلمة الله هى العليا . وهذا قد بزلها لذلك غير أن الأول قد شفى نفسه ببسط يده في العدو فقتل عزيزا وهذا قد تعرض للقتل مع كف يده فقتل ذليلا فجازاه الله على ذله باكرامه له وهذا مايظهر لى والله أعلم » .
(أنظر تنبيه الغافلين لابن النحاس ص ١٥)

قال مقيدة :

وقد فشا في الأمة من الخطباء الموهومين في أرزاقهم والمتوكلين على غير الله تبارك وتعالى فخدروا شعور الأمة باحساسها تجاه قرآنها وعقيدتها وأماتوا الكثير من معاني الجهاد والعبادة والصدقة والنافله ، فيا ويح الاسلام وابناء الاسلام والمصلحين من هؤلاء .

وفي صحيح ابن حبان :

عن انس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ رأيت ليلة اسرى بى رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء ياجبريل قال : الخطباء من امتك . الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون .

يجب اسقاط حساب هؤلاء واقصاءهم من ميدان الفتوى بل من ميدان العلماء ومن دائرة المتدينين هم الذين يحرقون البخور بين أيدى الساسه المنحرفين ويزينون لهم مجونهم ونكوصهم ويثنون على الولاء الشكلي للاسلام بمخادعه محقوره ...

إن المسلمين اليوم في مشارق الأرض ومغاربها مهيئون لبعث عقائدي وصحوة اسلاميه ويقظة عامة تحمي كيانهم وتستبقى اسلامهم . والكل كاره أشد الكره وممتعض أشد الامتعاض لأن تكون نتائج يقظته وبعثه صورة باهتة للاسلام أو تحريف أو ميل عن منهج نبيهم ﷺ .

وما أحسن قول القاضي أبى الحسن الجرجاني لنفسه :

يقولــــــون لي فيك انقبـــــاض وإنما
رأوا رجلا عن موقــف الــذل أحجمــا
أرى النــاس من دانــا هو هان عندهــم
ومــن أكرمتــه عزة النــفس اكرمــا
ولم اقضى حق العلـــم إن كان كلمـــا
بدا طمـــع صيرتــــه لىّ سُلمـــا

إذا قيـــــل هذا منهل قلت قد أرى
ولكـــن نفس الحر تحتمـــل الظمـــا

ولم ابتـــزل في خدمـــة العلـــم مهجتـــي
لا خدم من لاقـــيت لكـــن لأخدمـــا

أأشقـــى به غرسا واجنيـــه ذلـــة
إذاً فاتبـــاع الجهـــل قد كان احزمـــا

ولـــو أن أهـــل العلـــم صانـــوه صانهم
ولـــو عظمـــوه في النفـــوس لعظمـــا

ولكـــن أذلـــوه فهانـــوا ودنسوا
محيـــاه بالاطمـــاع حتـــى تجهمـــا

ومن أهم مايجب أن ننصح به أنفسنا أولا وأخواننا أن نزن أعمالنا في كل لحظة وأن نتحاشى الملق وأن نعرض أقوالنا على أعمالنا وأن ننصح أنفسنا بخطر مخالفة القول للعمل . وقد شاع هذا في يومنا فخلف حمما من الشك في العلماء وطلبة العلم بل سرى إلى كل متدين ومصلى ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

لابد أن يخاف المؤمن من سوء الخاتمه أن يحبط عمله أو أن يرائى . فقد كثرت الدواعي لمثل هذه الأمراض القلبيه الخطيرة وسقط في هاويتها الكثيرون ممن كانوا يحمدون على الألسنه وصار حالهم خذلانا وانتكاسا . الهم إنا نعوذ بك من الكور بعد الحور .

وقد كان الصحابه والتابعون يخشون أشد الخشيه قال البخاري رحمه الله تعالى :

« باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر » .

وقال إبراهيم التيمى :

« أدركت ثلاثين من أصحاب النبى ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه ، مامنهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل » .

ويذكر عن الحسن :

«ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق» . ويحذر من الاصرار على النفاق والعصيان من غير توبة لقول الله عز وجل : ﴿**ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون**﴾ . وأنظر البخاري بشرح فتح الباري ١ /١٠٩ ..

من الصحابه الذين أدركهم ابن أبى ملكيه وهم يخافون النفاق :

قال الحافظ :

«والصحابة الذين أدركهم ابن أبى ملكيه من أجلهم عائشة واختها أسماء وأم سلمه والعبادله الأربعة وأبو هريرة وعقبة بن الحارث المسور بن مخزمه فهؤلاء ممن سمع منهم .

وقد أدرك بالسن جماعة أجل من هؤلاء كعلى بن أبى طالب وسعد بن أبى وقاص ، وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال . ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك فكأنه إجماع .

قال الحافظ :

وذلك لأن المؤمن قد يعرض عليه في عمله مايشوبه مما يخالف الاخلاص ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى ـــ رضى الله عنهم ـــ .

قال الفقير لمثل هذا الأدب والسلوك :

لقد ظهر في مناحي الاسلام من يقول : الصحابه رجال ونحن رجال وهم عدول ونحن عدول وقد ذكر عن بعضهم أنهم يقللون من شأن كتب الفقه والأصول زاعمين بأنها لا تكفي بحاجة الانسان المعاصر وأنها خالية مما نحن فيه من مسابقة للعالم وللحضاره . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فإن كان كما قيل فيهم فهم من الصنف الذى عناه الشاعر .

حيث أنشد الشيخ الأجل برهان الدين على بن أبى بكر (ت ٥٩٣) صاحب الهداية والبداية والكفاية ـــ الحنفى . أنشد لبعضهم :

فساد كبير عالــــمٌ تفــــتك		وأكبر منـــه جاهــل متـــنسك
هما فتنـــةٌ في العـــالمين عظيمـــة		لمن بهمـــا في دينـــه يتـــمسك

قول الخطيب :

«ولا يقتضى بأن يكون راويا ومحدثا فقط» أى لابد لطالب العلم من شيخ عارف بالله تبارك وتعالى ملم بالفنون وفقه النصوص ومقاصد ومرامي الشريعة ولا يكتفي بمجرد الروايه وإلى هذا أشار الامام برهان الدين الزرنوجي حيث قال :

«وأما اختيار الاستاذ فينبغي أن يختار الأعلم والأروع والأسن كما اختار أبو حنيفة رحمه الله تعالى حماد بن سليمان «ت ١١٩ ــ التهذيب ٣/١٦» بعد التأمل والتفكير . وقال وجدته شيخا وقورا حليما صبورا .... الخ» . إلى قال : وقال الحكيم السمرقندي ــ رضى الله عنه ــ : «إذا ذهبت إلى بخاري فلا تجعل في الاختلاف إلى الأئمة ، وأمكث شهرين حتى تتأمل وتختار استاذا فإنك إن ذهبت إلى عالم وبدأت بالسبق عنده ربما لايعجبك درسه فتتركه وتذهب إلى الآخر فلا يبارك لك في التعلم ، فتأمل في شهرين في اختيار الاستاذ وشاور حتى لا تحتاج إلى تركه والاعراض عنه ، فتثبت عنده حتى يكون تعلمك مباركا وتنتفع بعلمك» .

وينبغي أن يثبت ويصبر على الاستاذ وعلى كتاب حتى لايتركه أبتر وعلى فن حتى لايشتغل بفن آخر قبل أن يتقن الأول وعلى بلد حتى لاينتقل إلى بلد آخر من غير ضروره . فإن ذلك كله يفرق الأمور ويشغل القلب ، ويضيع الأوقات ويؤذي المعلم «تعليم المتعلم ص ٤٤» .

وينبغي أن يصبر عما تريد نفسه وهواه قال الشاعر :

إن الهوى له الهوان بعينـــــــــــه
وصريـــــع كل هوىً صريـــــع هوان

وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ :

ألا لا تنـــال العلـــم إلا بستـــة
سأنبـــيك عن مجموعهـــا ببيـــان
ذكاء وحـــرص واصطبـــار وبلغـــه
وإرشاد استـــاذ وطـــول زمـــان

(٢٠) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري :

أجمع علماء التراجم أن ابن قتيبة من أسرة فارسية كانت تقطن مدينة « مرو » وأنه ولد في سنة ٢١٣ في أواخر خلافة المأمون بن هارون الرشيد كما أنهم اتفقوا على أنه نشأ ببغداد ، والتى كانت حاضرة الخلافة الاسلامية وموطن العلماء الأعلام في كل فن .

وقد كان شغوفاً بالعلم وأنواع المعارف يجد من يتتبع مؤلفاته أنه حظى بسهم وافر من كل نوع من أنواع العلوم ذلك مما جعل افئدة الناس تهوى إليه للاستفادة منه والتتلمذ عليه .

ويكفيه قول علماء الحديث : « كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خير فيه » (ت سنة ٢٧٦) .

□□□□

الفصـل الخامس

فقه الحديث بالتفكر والاستنباط وحديث : « كونوا دُرَاةً ولا تكونوا رُوَاةً »

ويشتمل على أربع مباحث

المبحث الأول :

حكم حديث « كونوا دراه ولا تكونوا رواه » من حيث الدراية والرواية والتخريج

المبحث الثاني :

مجموعة حِكَم عن الفقه والحلم قبل العلم

المبحث الثالث :

طول اللحيه وزينتها أحياناً يجر على المرء الويلات

المبحث الرابع :

من سئل عن مسألة فكرهها أعرض عن السائل

وروى بإسناده إلى على بن موسى (٢١) الرضا عن أبيه عن جده عن أبائه أن رسول الله ﷺ قال : «**كونوا دُرَاه ولا تكونوا رواه حَدِيثٌ تعرفون فقهه خير من ألف حديث تروونه**» (٢٢) .

وروى بإسناده إلى الربيع بن سليمان (٢٣) . قال : سمعت الشافعى وذكر من تحمل العلم جزافا فقال : هذا مثل حاطب ليل يقطع حزمه من حطب فيحملها ، ولعل فيها أفعى فتلدغه وهو لايدري . قال الربيع : يعنى عن الذين لا يسألون عن الحجة من أين .

وروى بإسناده إلى أبي بكر محمد بن الحسن بن زيد (٢٤) . قال : سئل بعضهم متى يكون الأدب ضارا ؟ ، قال : إذا انفصمت القريحه وكثرت الرواية .

قال أخبرنا القاضي أبو العلاء محمد بن على الواسطى (٢٥) : أنبأنا أبو الحسن محمد بن جعفر التميمي الكوفي (٢٦) . قال : قال لنا أبو العباس بن عقل (٢٧) يوما وقد .

فصل : فقه الحديث بالفكر والاستنباط وحديث : «كونوا دراه ولا تكونوا رواه»

(٢١) على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى أبو الحسن الرضا . كان من أهل الشرف والعلم والفضل مات يوم السبت آخر يوم في صفر وقد سُمَّ في ماءِ الرُّمان وسقى (ت سنة ٢٠٣) . « التهذيب ٧ /٣٨٨ » ...

المبحث الأول

(٢٢) حديث «كونوا دراه ولا تكونوا رواه» أبو نعيم في الحليه عن ابن مسعود بإسناد ضعيف وتمامه «فقد يرعوى من لا يروى وقد يروى من لا يرعوى إنكم لم تكونوا عالمين حتى تكونوا بما علمتم عاملين» . من رواية القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده عبد الله بن مسعود ـــ رضى الله عنه ـــ .

والمعنى كما قال العلماء : «علم الهداية يحصل به المقصود من أول وهلة وعلم الرواية لا تحصل به الهداية لا بشروط وتدرج . وعلم الهداية تسبقه الخشية للقلب فتسكنه الهيبة والحياء والأنس» . وقال الماوردي : «ربما عنى المتعلم بالحفظ من غير تصور ولا فهم حتى يصير حافظا لألفاظ المعاني وهو لا يتصورها ولا يفهم ماتضمنها يروى بغير رويّه ويخبر عن غير خبره» (أنظر فيض القدير ٥ /٥٧) ..

(٢٣) الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي مولاهم أبو محمد المصري المؤذن صاحب الشافعى وراويّه كتبه عنه .

قال الطحاوي : «كان مولده ومولد المزني ومحمد بن نصر ١٧٤ وتوفى سنة ٢٧٠» .

قال الخليلي : ثقه متفق عليه والمزنى مع جلالته استعان على ماقاله عن الشافعى بكتاب الربيع . (تهذيب التهذيب ٣ /٢٤٦) ...

المبحث الثاني

نصائح ووصيا وحِكَمٌ عن الحِلم والفقه قبل العلم .

على طالب الحديث أن يذكر نفسه بمثل هذه الوصايا النافعة في الدنيا والآخره ومنها الآتي :

وكان ليث بن سعد كثيرا مايقول لأصحاب الحديث :

«تعلموا الحلم قبل العلم» .

وقال ابن وهب :

« ما تعلمتُ من أدبِ مالكٍ أفضل من علمه » .

وقال أبو حنفيه :

« الحكايات عن العلماء أحب إلى من كثير من الفقه لأنها آداب القوم وأخلاقهم » .

وقال الحسن البصري :

« كان طالب العلم يُرَى ذلك في سمعه وبصره وتخشعه » .

(راجع مختصر كتاب العلم ص ٦٤) ..

وقال الامام البخاري رحمه الله تعالى :

« باب الفهم في العلم » .

قال الحافظ : قوله : « باب الفهم » أى فضل الفهم « في العلم » أى في العلوم (فتح الباري ١ /١٦٥) ...

وقال : ابن عباس — رضى الله عنهما — فيما علقه البخاري عنه : « كونوا ربانيين حكماء فقهاء » . قال البخاري : ويقال الرباني الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره — وقال شارحه رحمه الله في الفتح .

قوله : « وقال ابن العباس » هذا التعليق وصله ابن أبى عاصم بإسناد حسن والخطيب بإسناد آخر أحسن .. وقد فسر ابن عباس الربَّاني بأنه الحكيم الفقيه ووافقه ابن مسعود فيما رواه إبراهيم الحربى في غريبه بإسناد صحيح وقال الأصمعى والاسماعيلي : الرباني نسبة إلى الرب أى الذى يقصد ما أمره الرب بقصده من العلم والعمل . وقال ثعلب قيل للعلماء ربانيون لأنهم يربون العلم أى يقومون به وزيدت الألف والنون للمبالغة . أ . هـ .

والحاصل أنه اختلف في هذه النسبة إلى الرب أو إلى التربيه ، والتربيه على هذا للعلم وعلى ماحكاه البخارى لتعلمه .

والمراد بصغار العلم ، وما وضح من مسائلة وبكباره مادق منها . وقيل بعلم جزيئاته قبل كلياته أو فروعة قبل أصوله أو مقدماته قبل مقاصده .

وقال ابن الأعرابي لا يقال للعالم رباني حتى يكون عالما معلما عاملا . أ . هـ . من كلام الحافظ في الفتح ١ /١٦٢ ..

(٢٤) محمد بن الحسن بن زيد السامري حدث عن جعفر بن محمد الطيالسي (أنظر تاريخ بغداد ٢ /١٢٩ ترجمة رقم ٦٣٠) .

(٢٥) القاضي أبو العلاء محمد بن على الواسطي يعد من طبقة شيوخ الخطيب فقد ذكره في تاريخه جـ ٢ /٤١ ترجمة رقم ٤٣٤ .

(٢٦) أبو الحسن محمد بن جعفر التميمي الكوفي في تاريخ بغداد ٢ /٤١ بزيادة (سليمان) فهو محمد بن سليمان بن جعفر .

(٢٧) أبو العباس بن عقيل .

سأله رجل عن حديث فقال : أقلو من هذه الأحاديث فإنها لا تصلح إلا عن علم تأويلها ، فقد روى يحيى بن سليمان (٢٨) عن ابن وهب (٢٩) قال : سمعت مالكا (٣٠) يقول : كثير من هذه الأحاديث ضلالةٌ ، لقد خرجت أحاديث وددت أني ضُرِبت بكل حديث سوطين وأني لم أحدث به ، ولعله يطول عمره فتنزل به نازلة في دينه فيحتاج أن يسأل عنها فقيه ، وعسى أن يكون الفقيه حديث السن فيستحي أو يأنف من مسألته ويضيع أمر الله تعالى في تركه تعرف حكم نازلته .

(٢٨) يحيى بن سليمان بن يحيى بن سعيد بن مسلم الجعفي (ت سنة ٢٣٧) ــ « التهذيب جـ ١١ /٢٢٨ » .

قول مالك رحمه الله : « كثير من هذه الأحاديث ضلاله » . يقصد بذلك الأحاديث المكذوبه الموضوعه والتي هي منبع الشر والفساد والتحريف والتي تشكل خطرا عظيما على الأمة إذ أن روايتها سهلة وحفظها ممكن لأنها مصنوعة صناعة من الكذابين وقد راعوا فيها موافقه هوى النفس كحديث : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » . ففي هذا الحديث نكوص عن أصل الجهاد وتقعيد للهمم بحجة أن نفوسنا تحتاج إلى جهاد .

وقد عمل كثير من متنسكه اليوم به تاركين سبيل الاصلاح والدعوة إلى إقامة شرع الله ومجابهة المفسدين وهو حديث موضوع قاله ابن تيميه رحمه الله تعالى : ﴿**في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**﴾ .

وكحديث « النساء مصابيح البيوت ولكن لا تعلموهن » . قال في كشف الخفاء : هذا يجرى على السنه بعض الناس ولا أصل له . كشف الخفاء ٢/ ٣١٦ .

وكحديث «ربيع أمتي العنب والبطيخ» . كشف الخفاء ١ /٤٢٣ .. ثم قال العجلوني : رواه أبو عمر التوقاني عن ابن عمر كما في شرح الجامع الصغير للمناوي ثم قال كما قال ابن الجوزي : موضوع ، بل تقدم في حديث البطيخ أن جميع ماورد في الفاكهة من الأحاديث موضوع .

وكحديث «كن ذنبا ولا تكن رأسا» . قال الذهبى : هو من كلام إبراهيم بن آدهم . وزاد فإن الرأس يهلك وأن الذنب يسلم ــ وليس بحديث .

أما قول مالك : «لقد خرجت أحاديث وددت أنى ضربت بكل حديث سوطين وأنى لم أحدث به» .

فإن هذا من باب هضم النفس والتقليل والتحقير ومن شدة تواضعه .

والذى يترجح أن مالكاً قصد الروايه والصناعية الحديثيه من حيث قبول هذه الأحاديث وردها ويشهد لما رجحت ماروى عن ابن القاسم رحمه الله تعالى . قال : «سألت مالكاً عمن يحدث بحديث « إن الله خلق آدم على صورته » . وحديث « إن الله يكشف عن ساقه يوم القيامة وأنه يدخل في النار يده حتى يخرج من أراد » . فأنكر مالك ذلك انكاراً شديداً ونهى أن يتحدث به» .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه « التسعينيه » : «هذان الحديثان كان الليث بن سعد يحدث بهما . فالأول حديث الصورة ، حدث به عن ابن عجلان . والثاني هو حديث أبى سعيد الخدري الطويل وهذا الحديث قد اخرجاه في الصحيحين من حديث الليث . الأول قد أخرجاه في الصحيحين أيضاً من حديث غيره» .

ثم قال رحمه الله تعالى :

«وابن القاسم إنما سأل مالكاً لأجل تحديث الليث بذلك ، فيقال : إما أن يكون ماقاله مالك مخالفاً لما فعله الليث ونحوه أو ليس بمخالف بل يكره أن يتحدث بذلك لمن يفتنه ذلك ولا يحمله كما قال ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ « مامن رجل يحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم » . وقد كان مالك

يترك أحاديث كثيرة لكونها لا يؤخذ بها ، ولم يتركها غيره فله في ذلك مذهب . وغاية ما يعتذر له أن يقال : كره أن يتحدث بذلك فيفتن المستمع الذى لا يحتمل عقله ذلك . وأما أن يُقَال كره التحدث بذلك مطلقاً فهذا مردود» . انتهى كلام شيخ الاسلام .

الموطأ صحيح كله

قال السيوطي في تدريب الراوي ص ١١٠ : [وقال ابن حزم : «وطبقة موطأ مالك بعضها أجمع للصحيح منه وبعضها مثله وبعضها دونه ، ولقد أحصيت مافي حديث شعبة من الصحيح فوجدته ثمانمائه حديث ونيفاً مسنده ، ومرسلاً يزيد على المائتين ، وأحصيت مافي موطأ مالك ، وما في حديث سفيان بن عينيه فوجدت في كل واحد منهما من المسند خمسمائه ونيفاً مسنداً وثلاثمائة ونيفاً مرسلاً .

وفيه نيف وسبعون حديثاً قد ترك مالك نفسه العمل بها وفيها أحاديث ضعيفه وهاها جمهور العلماء» . انتهى ملخصاً من كتابه مراتب الديانه .

قلت لو سلم كلام العلامه الناقد اللاذع ابن حزم من النقد والتسفيه لكان حلاً لعبارة الامام مالك من الاشكال ، لكنه وللأسف لم يسلم من النقد فقد نقل العلامه اللكنوى في كتابة « الاجوبه الفاضلة ص ٩٥ » بعد أن ساق طرفاً من كلام ابن حزم المتقدم . قال : «ونقل الذهبى في ـــ سير أعلام النبلاء ـــ عن ابن حزم نحو ما مر وقال : ـــ أى الذهبى ـــ ماأنصف ابن حزم ، بل رتبة « الموطأ » أن يذكر تلو « الصحيحين » مع سنن « أبى داود » لكنه تأدب وقدم المسندات النبوية الصرفه»] . انتهى ..

وذكر العلامة الزرقاني في شرح الموطأ ١ /٩ عن السيوطي : (إن الموطأ صحيح كله) .

وبقية كلام مالك يفيد خوفه الشديد من الله تبارك وتعالى ومن ضياع المسائل والفوائد التى فيها حكم الله . وفيه أيضا التنبيه من الامام مالك على مسألة حداثة

السن وأنها مظنة الخجل أو يأنف فيضيع حكم الله في الواقعة ـــ وقد عقدت فصلا للأخذ من صغار السن وبينت رأى أهل العلم فيه فتقدم فليراجع ـــ .

(٢٩) ابن وهب :

هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشى مولاهم أبو محمد المصري الفقيه .

طرف من همته في تحصيل العلم : وحفظه .

قال أحمد بن صالح : « حدث ابن وهب بمائة الف حديث » . وقال ابن ابى حاتم عن أبى زرعه : « نظرت في نحو ثلاثين الف حديث من حديث ابن أبى وهب بمصر وغير مصر ولا أعلم أنى رأيت له حديثا لا أصل له وهو ثقه » .

وقال أبو حاتم بن حبان : « جمع ابن وهب وصنف وحفظ على أهل الحجاز ومصر حديثهم » .

وقال ابن عدى : « ابن وهب من أجله الناس وتقاتهم وحديث الجاز ومصر يدور على أبى وهب . وجمعه لهم مسندهم ومقطوعهم وقد تفرد عن غير شيخ بالرواية من الثقاب والضعفاء ، ولا أعلم له حديثا منكرا ، إذا حدث عنه ثقة من الثقات » .

مات بمصر سنة ١٩٧ . وفي قصة موته : أنه قرىء عليه كتابه « أهوال يوم القيامه » فخر مغشيا عليه فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد أيام . قال خالد بن خراش : « فنرى والله أعلم أنه انصدع قلبه فمات » . وذلك بمصر المحروسة حماها الله من كيد كل عدو . آمين .

(٣٠) مالك بن أنس بن مالك بن عامر بن عمر بن الحارث بن عثمان بن جثيل بن عمرو بن الحارث وهو ذو أصبح الحميري أبو عبد الله المدنى الفقيه أحد أعلام الاسلام أمام دار الهجرة .

قال الحافظ :

«كان ثقة مأمونا ثبتا ورعا فقيها عالما حجة» .

طرق من ثناء أهل العلم على علمه :

قال الشافعى : «مالك حجة الله تعالى على خلقه بعد التابعين» .

قال مالك عن نفسه : «ما أفتيت حتى شهد لى سبعون أنى أهل لذلك» .

قال النسائى : «ما عندي بعد التابعين أنبل من مالك ولا أجل منه ولا أوثق ولا آمن على الحديث منه ولا أقل رواية عن الضعفاء ما علمناه حدث عن متروك إلا عبد الكريم» .

قال ابن حبان في الثقات : «كان مالك أول من إنتقى الرجال من الفقهاء ولم يكن يروى إلا ماصح ولا يحدث إلا عن ثقة مع الفقه والدين والفضل والنسك وبه تخرج الشافعى» .

مات ــ رضى الله عنه ــ في صفر سنة ١٧٩ .

قال الحافظ : «ومناقبه كثيرة جداً لا يحتمل هذا المختصر استيعابها وقد أفردت بالتصنيف» . (تهذيب التهذيب ١٠ /٩) ...

وروى بإسناده إلى محمد بن عبيد (٣١) قال : جاء رجل وافر اللحية إلى الأعمش (٣٢) فسأله عن مسألة من مسائل الصبيان تحفظها الصبيان . فالتفت الأعمش فقال انظروا إلى لحيته تحمل حفظ أربعة آلاف حديث ومسألته مسألة الصبيان .

قال ولتعلم إن الاكثار من كتب الحديث وروايته لا يصير الرجل فقيها وإنما يتفقه باستنباط معانيه وإنعام التفكر فيه .

المبحث الثالث

طول اللحيه

طول اللحيه يجر على صاحبها أحياناً الويلات فكثيراً مايربط الناس بين العلم واللحيه أو بين التقوى واللحيه ، وهذا ماوقع لسليمان بن مهران الأعمش من هذا الرجل ، كما وقع لمعاوية بن أبى سفيان الخليفه الصحابى الجليل بن الصحابى الجليل وغيره . وقد نسج الوضاعون فيها الأحاديث وأرتجل الشعراء فيها ومن ذلك ما أسنده الديلمى عن عمرو بن العاص رفعه بلفظ : «طول اللحيه دليل قلة العقل» . قال في التمييز اسنده الديلمى بسند وا هـ بلفظ «اعتبروا عقل الرجل في ثلاث في طول لحيته وكنيته ونقش خاتمه» .

وما أحسن ماقيل :

إن كان بطول اللحا يستوجبون القضا فالتيس عدل مرتضى

وفي لفظ :

ليس بطول اللحا يستوجبون القضا إن كان هذا كذا فالتيس عدل رضا

وروى مكتوب في التوراه :

لايغرنك طول اللحا فإن التيس له لحيه

وروى عن أبى درس الأشعرى أنه قال :

«كنا عند معاوية جلوسا إذ أقبل رجل طويل اللحيه ، فقال معاوية ايكم احفظ حديث رسول الله ﷺ في طول اللحيه ، فسكت القوم فقال معاوية لكنى احفظ فلما جلس الرجل قال : له معاوية أما اللحيه فلسنا نسأل عنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**اعتبروا عقل الرجل في طول لحيته ونقش خاتمه وكنيته**» . فما كنيتك . قال أبو كوكب قال مانقش خاتمك ؟ فقال : «وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين فقال معاوية وجدنا حديث رسول الله ﷺ حقا» .

(أنظر كشف الخفاء ٢ ○ ٤ ح ٦٧٧)

وروى الطبراني عن ابن عباس رفعه بلفظ :

«من سعادة المرء خفة لحيته» قال السيوطي في مختصر الموضوعات : أنه موضوع . وأخرجه ابن عدى عن أنس بزيادة ولفظه «من سعادة المرء أن يشبه أباه ومن سعادة المرء خفة لحيته ـــ وفي لفظ خفة عارضيه» .

وقال في الفتاوي الحديثة لابن حجر المكى : رواه الطبراني والخطيب وأورده ابن الجوزي في الموضوعات . وقيل أن فيه تصحيفا وإنما هو خفة لحيته .

وما يناسب ايراده هنا ماذكر المناوي في شرحه الكبير على الجامع الصغير قال : «إن الحسن ابن المثنى قال : إذا رأيت رجلا له لحية طويلة ولم يتخذ لحية بين لحيتين كان في عقله شيء» ، ثم حكى قصة المأمون وأعقبها بإنشاد بيتين :

ما أحـــــد طالت له لحيـــــة فزادت لحيتـــــه في هيئتـــــه
إلا ومـــا ينـــــقص من عقلـــــه أكثر مما زاد في لحيتـــــــــه

قال المناوي رحمه الله : ٦ /١٤ من فيض القدير «المراد خفة شعرها لأن لحية الرجل زينه له» . ومن ثم كانت عائشة تقسم فتقول : «والذى زين الرجال

باللحى» ثم قال : والزينة إذا كانت تامه وافرة ربما أعجب المرء بنفسه والاعجاب مهلك ، كما جاء في الخبر «شر ما أعطى المسلم قلب سوء في صورة حسنه» . فإذا نظر إلى غزارة لحيته اعجب بها والاعجاب هلاك ، فكانت خفتها سبب ازرائه بها فكان فوزا وهى السعادة .

ومما يحسن الحاقه هنا مارواه الحاكم بإسناده إلى يحيى بن معين قال : «كان يزيد بن مطرف يسرح لحيته فخرج منها عقرب فلقب بالرشك» . (معرفة علوم الحديث ص ٢١١) ..

المبحث الرابع

فائدة : من سئل عن مسألة فكرهها أعرض عن السائل في الاجابة واتبع الاسلوب الحسن لذا قال الأعمش رحمه الله تعالى عليه : «انظروا إلى لحيته تحمل حفظ أربعة آلاف حديث ومسألته مسألة الصبيان» . وقد بوب الامام البخاري في جامعه فقال : «باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل» . وساق بإسناده حديث إلى أبى هريرة — رضى الله عنه — قال :

«بينما النبى ﷺ في مجلس يحدث القوم جاء أعرابى فقال متى الساعه ؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال . وقال بعضهم — بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه قال : أين أراه السائل عن الساعة ؟ قال ها أنا يارسول الله قال : (فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة) فقال كيف اضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعه» ..

صحيح البخاري بشرح الحافظ ١ /١٤٣ حديث رقم ٥٩ وأطرافه كما قال : الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي في ٦٤٩٦ ..

قال الحافظ ابن حجر :

محصلة التنبيه على أدب العالم والمتعلم ، أما العالم فلما تضمنه من ترك زجر السائل . بل أدبه بالأعراض عنه أولا حتى استوفى ما كان فيه ثم رجع إلى جوابه فرفق به لأنه من الأعراب وهم الجفاه . وفيه العناية بجواب سؤال السائل ولو لم يكن السؤال متعينا ولا الجواب . وأما المتعلم فلما تضمنه من أدب السائل أن لا يسأل العالم وهو مشتغل بغيره لأن حق الأول مقدم .

(٣١) ومحمد بن عبيد هو محمد بن عبيد بن عبد الأسد المروزي الأصل — قال الخطيب في تاريخه جـ ٢ /٣٧٠ : (كان ثقة) .

(٣٢) الأعمش هو سليمان بن مهران الاسدى الكاهلي مولاهم أبو محمد الكوفي الأعمش يقال أصله من طبرستان وولد بالكوفه ولد يوم قتل الحسين يوم عاشوراء سنة ٦١ ومات سنة ١٤٨ وهو ابن ٨٨ سنة . (أنظر تهذيب التهذيب ٤ /٢٢٣) .

ومن السنة في ذلك :

١) عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : « مارأيت قوما خيرا من أصحاب رسول الله ﷺ ماسألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض كلهن في القرآن الكريم . (يسألونك عن الشهر الحرام) (يسألونك عن الخمر) (يسألونك عن اليتامى) (يسألونك عن المحيض) (يسألونك عن الانفال) (يسألونك ماذ ينفقون) .

ما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم قال : وأول من طاف بالبيت الملائكه وأن مابين الحجر إلى الركن اليمانى لقبور من قبور الانبياء كان النبى إذا اذاه قومه خرج من بين اظهرهم يعبد الله فيها حتى يموت » . قال الهيثمى رواه الطبرانى في الكبير وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة إلا أنه اختلط وبقية رجاله ثقات ١ /١٥٩ .

٢) عن ابن عمر — رضى الله عنهما — قال :

« لقد عشت برهه من دهرى وأن أحدنا يؤمن الايمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يقف عنده منها كما تعلمون

انتم القرآن ثم لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان مابين فاتحة الكتاب إلى خاتمته مايدرى مآأمره ولا زجره وماينبغى أن يقف عنده منها وينثر نثر الدقل» . (رواه الطبرانى في الأوسط ورجاله رجال الصحيح) .

٣) عن حذيفة قال :
«والله لو شئت لحدثتكم الف كلمة تبغضوني عليها وتجانبوني وتكذبوني» .
(رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثوقون) .

٤) وعن عبد الله بن مسعود قال :
«إن الذى يفتى الناس في كل مايستفتونه فيه مجنون» .
(رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثوقون) .

□□□□

وروى بإسناده إلى عمر ــ رضى الله عنه ــ أنه قال : « قد علمت متى صلاح الناس . ومتى فسادهم . إذا جاء الفقه من قبل الصغير ، واستعصى عليه الكبير ، فإذا جاء الفقه من قبل الكبير تابعه الصغير واهتديا وإن أدركه التوفيق من الله عز وجل وسأله الفقيه أيا من لن يكن بحضرته من يؤدي به ويلزمه على عجزه في مقتبل عمره أن فرط في التعليم فينقلب حينئذ واجماً ، وعلى ما أسلف من تفريطه نادما» .

أثر عمر (قد علمت صلاح الناس ومتى فسادهم ... الخ) .
رواه القاسم ابن اصبغ في مصنفه وقال ابن حجر سنده صحيح ــ قال المناوي رحمه الله ٢ /٥٣٣ ..

لقد عنى المحدثون بالعمر وسن التلقى وزمن الأداء واختلفوا في الحد الأدنى .

قال العلامة المشاط :
«وأعلم أنهم اختلفوا في السن التى يحسن أن يتصدى فيه للحديث فحدده ابن خلاد بالخمسين ، وأنكره القاضي عياض بأن كثيراً من السلف ومن بعدهم نشر الحديث ولم يبلغ هذا السن كمالك وغيره فإنه جلس للتحديث وهو ابن نيف وعشرين وقيل سبعة عشر والناس متوفرون وشيوخه أحياء ، والذى صححه النووي في تقريبه أنه متى ما احتيج إلى ماعنده جلس للتحديث في أى سن كان» .

وأنظر رفع الاستار للشيخ حسن المشاط ص ١٥٧ ..

الفصـل السادس

توق الاكثار من الحديث وقول مالك «اقلا منه وتفقها»

ويشتمل على مباحث :

المبحث الأول :

ما كان عليه الصحابه واتباعهم ــ رضى الله عنهم ــ من توق الاكثار من رواية السنة .

المبحث الثاني :

من الاقلال في السنة تحاشى ماظاهره الفتنه

روى بإسنادة إلى مالك بن أنس قال لابنى اخيه أبى بكر (٣٣) وإسماعيل (٣٤) ابنى أبى أويس (٣٥) أراكما تحبان هذا الشأن وتطلبانه ؟ قالا : نعم ، قال : إن احببتما أن تنتفعا به وينفع الله بكما فأقلا منه وتفقها .

المبحث الأول

ماكان عليه سلف الأمه من توقى الاكثار في الحديث .

فصل : في توقى الاكثار من الحديث وقول مالك «أقلا منه وتفقها» :

نص مالك رواه الرامهرمزى في (المحدث الفاصل) ص ٥٥٩ والحليه ٢ /٣١٩ . قول مالك لهما : «أراكما تحبان هذا الشأن وتطلبانه» فيه رفع لمعنويات روحيهما وبالغ العناية بهما وضرب من أساليب التربية الأصيله في التشويق والجذب إلى العلم والبشرية جمعاء في أمس الحاجه إلى أصول وقواعد هذه التربية والتى افتقرت المناهج الحديثه لها بل شقيت وتعست بمناهج فرويد ودارون وغيرهما ممن وضعوا مناهج بتراء بنيت على الهوى والجنس والمجون فياليت أهل الاسلام يرجعون إلى أصولهم ليجدوا فيها مايفيد .

فعبارة الامام مالك مع قصرها لكن لها سحر في النفوس وسريان في الابدان جعلت هذين الطالبين يثقان به ويشعران بالراحه والهدوء والدفء والحنان يالها من طريقة سهلة ميسره مبسطه . ثم جاء التوجيه (أقلا) إنها دعوة إلى الخفة في حمل الأمانة و(تفقها) صرخة لتوسيع مدارك الانسان وتحديد عقليته لتصبح مرنة لتحمل رسالة مرنة مسايرة لكل العصور والأزمان ثابتة في أصولها مرنة بالاجتهاد والرأى لمواكبة كل جزئية تجد وتحدث . إلى قيام الساعة .

وقد كان دأب السلف الاقلال من الحديث مع الفهم العميق روى البخارى في صحيحة عن مجاهد قال : «صحبت ابن عمر إلى المدينة فلم اسمعه يحدث عن رسول الله ﷺ إلا حديثا واحدا .. الخ الحديث» . قال الحافظ : «فيه ماكان بعض الصحابه عليه من توقى الحديث عن النبى ﷺ إلا عند الحاجة خشية الزيادة والنقصان . وهذه كانت طرية ابن عمر ووالده عمر وجماعة وإنما كثرت أحاديث ابن عمر مع ذلك لكثرة من كان يسأله ويستفتيه» . (فتح الباري ١ /١٦٥) .

ويشهد لقول الخطيب : «ولتعلم أن الأكثار من كتب الحديث وروايته لا يصير الرجل فقيها» .

حديث أنس يرفعه «تعلموا العلم ماشئتم فو الله لا تؤجروا بجمع العلم حتى تعملوا» رواه أبو الحسن بن الاحزام المدينى في أماليه . وحسنه السيوطي في الجامع الصغير وأنظر فيض القدير ٣ /٢٥٤ ..

وعن الحسن البصري قال :
«من لم يكن له فقه من سُوسِه لم تنفعه كثرة الرواية للحديث» .

وقال سفيان بن عيينه :
«إنه لاينفع هذا العلم إلا من كان له طبع في العلم» .
ومعنى (السوس) بضم السين ـ الاصل والطبيعة والطبع والخلق والسجيه . يقال الفصاحة من سُوسِه أى طبعه انظر لسان العرب ٤١٣ـ٤١٤ المجلد السابع والقاموس المحيط ص ٢٢٠ جـ٢ . والرواية ساقها الرامهرمزي في كتابه المحدث الفاصل ص ٥٥٨ .

(٣٣) ، (٣٤) ، (٣٥) لم أجد لهم ترجمة .

فائدة :

من كره كثرة الرواية من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم

(١) عن سفيان الثوري : وقد ذكر عنده كثرة المحدثين فقال : أو ليس قد يضرب

مثل ـــ إذا كثر الملاحون غرقت السفينه . (أنظر المحدث الفاصل ص ٥٦٠) .

(٢) وقال عمر رضى الله عنه :
«اقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم» أخرجه ابن ماجه مطولا ١ /١٢ حديث فتح ٢٨ .

(٣) وقال عمر ـــ رضى الله عنه ـــ :
وروى عن عثمان بن عفان أيضا قال : السائب بن يزيد : «أرسلنى عثمان بن عفان إلى أبى هريرة فقال : قل له يقول لك أمير المؤمنين : ماهذا الحديث عن رسول الله ﷺ لقد أكثرت لتنتهين أو لألحقنك بجبال دوس ، وآت كعبا فقل له : يقول لك أمير المؤمنين عثمان ماهذا الحديث قد ملأت الدنيا حديثا لتنتهين أو لألحقنك بجبال القرده» . (أنظر البداية والنهاية ٨ /١٠٦) ..

(٤) وعن السائب بن يزيد قال :
«صحبت سعد بن أبى وقاص سنة فما سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا حديثا واحدا» . (رواه ابن ماجه ١ /١٢) وأنظر طبقات ابن سعد ٣ /ص ـــ ١٠٢ قسم ١ .

(٥) وقال سفيان بن حسين :
قال لى ابن شبرمه : «أقل الروايه تفقه» .

(٦) وقال مخلد بن الحسين :
«نحن إلى القليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث» .

(٧) وعن عبد الرحمن بن يزيد قال :
«كان عبد الله يمكث السنه لايقول : قال رسول الله ﷺ فإذا قال : قال رسول الله ﷺ أخذته الرعده ويقول : أو هكذا أو نحوه أو شبهه» .

(٨) وقال ابن أبى ليلى :
«كنا إذا أتينا زيد بن أرقم فنقول له : حدثنا عن رسول الله ﷺ . يقول إنا كبرنا

ونسينا والحديث عن رسول الله ﷺ شديد» . (أنظر ابن ماجه ١ /١١ حديث رقم ٢٥) . وسنن البيهقى ٠ /١١ وأنظر الكفايه ص ١٧١ .

(٩) وعن أبى الدرداء أنه كان إذا حدث قال : «أو نحوه أو شكله» . رواه الطبراني في الكبير وقال الهيثمى رجاله رجال الصحيح ١ /١٤١ والكفاية ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(١٠) ويشهد لهذا الصنيع حديث رسول الله ﷺ عن أبى قتادة قال : سمعت النبى ﷺ يقول : «إياكم وكثرة الحديث عنى» رواه أحمد وابن ماجه والحاكم . أنظر الجامع الصغير ١ /١١٦ ..

المبحث الثاني

«ومن الاقلال في الحديث تحاشي ما هو فتنة»

ومن الاقلال في الحديث الاختصار على مكان الشاهد دون سوقٍ لكامل الحديث وترك الذى يخشى قصر فهم الناس عنه فيقعوا فيما أشد قال الامام البخاري رحمه الله : «باب من ترك بعض الاختبار مخافة أن يقصبر فهم الناس عنه فيقعوا فيما هو أشد منه» . وساق حديث الأسود قال : قال لي ابن الزبير : كانت عائشة تسر إليك كثيرا ، فما حدثتك في الكعبه ؟ قلت : قالت : لى قال النبى ﷺ : «يا عائشه لولا قومك حديثُ عهدهم ــ قال ابن الزبير : بِكُفْرٍ ــ لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين باي يدخل الناس ، وباب يخرجون» . ففعله ابن الزبير ..

وقال رحمه الله : «باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا وقال على : حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يُكَذَّب الله ورسوله ؟» ثم ساقه بإسناد عال عن أبى الطفيل عن على .

قال الحافظ في الفتح ١ /٢٢٥ .

«فيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامه» . ومثله قول ابن مسعود

«ماأنت محدثا قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» . رواه مسلم .

وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التى ظاهرها الخروج على السلطان ، ومالك في أحاديث الصفات ، وأبو يوسف في الغرائب ومن قبلهم أبو هريرة كما تقدم عنه في الجرابين وأن المراد مايقع من الفتن . ونحوه عن حذيفه وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة العرنيين لأنه اتخذها وسيلة إلى ماكان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهى ، ثم قال الحافظ وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوى البدعه وظاهره في الأصل غير مراد فالامساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب .

قال مقيده عفا الله عنه :

ولقد رأيت بعض المبتدئين يتحدثون في المساجد بحديث رسول الله ﷺ مما هو من مختلف الحديث وما ظاهره التعارض فيحدث التشويش والشك لعوام أهل المسجد . مما سمعوا ، ويجلسون إليه بعد انقضاء خطبته يستفتونه فيفتيهم بعجل شديد ، في الحلال والحرام والعقائد والأسماء والصفات . فمهلا يا إخوة الاسلام لقد تزعزعت الفتوى في نفوس المسلمين وحصل لهم العجب من كثرة القيل والقال . وأصبح الأمر قريب من العبث وهذا نوع من أنواع هلاك العلم وانحطاط به إلى هاوية الشك والتردى به إلى الرأى الفردي .

وكأن الطريق غير مرسوم لنا حتى يقدم شبابنا على مثل هذا التهور والتعجل بما يفتن ويضر ولا ينفع . فمن كان قصده النفع والافادة فليتجنب مايضر وليعمل على ماينفع فيحدث الناس بما يفهمون وبما هو قريب مما ينفعهم والعمل العلمى من موعظة أو فتوى أو محاضرة أو تدريس يجب أن يقدر قدره وينزل منزلته وبالفطنه أو الذكاء واليقظه التامه والتفكير الدقيق والفهم العميق تسير قافلة العلم الملائمة لنهج رسولنا ﷺ .

فالاقلال يمكن الانسان من ترتيب نفسه وصفاء ذهنه فتنشط القرائح والافهام فتكثر بركات العلم ويستقيم فهمه واستنباطه خلافا للكثره الكاثره التى تجعل المرء

يحطب حطبا فلا يعى مايسمع ولايطمئن لما يقول فيهلك ويهلك . وفي مسلم ١ /٧٥ عن سفيان بن حسين قال : « سألنى أياس بن معاويه فقال : إنى أراك قد كلفت بعلم القرآن فاقرأ على سورة وفسر حتى انظر فيما علمت » .

قال ففعلت . فقال لي أحفظ على ماأقول : لك أياك والشناعه في الحديث فإنه قلما حملها أحد إلا ذل في نفسه وكذب في حديثه .

قال الامام النووي :

« أراك قد كلفت بعلم القرآن » هو بفتح الكاف وكسر اللام وبالفاء ومعناه ولعت به ولازمته . قال ابن فارس وغيره من أهل اللغة : الكلف الايلاع بالشيء وقال أبو القاسم الزمخشري : الكلف الايلاع بالشيء مع شغل قلب ومشقه .

وأما قوله : « أياك والشناعه في الحديث » فهى بفتح الشين وهى القبح . قال أهل اللغة الشناعه القبح وقد شنع الشيء فهو أشنع وشنيع وشنعت بالشيء بكسر النون وشنعته أى أنكرته وشنعت على الرجل أى ذكرته بقبيح .

ومعنى كلامه أنه حذره أن يحدث بالأحاديث المنكره التى يشنع على صاحبها فيكذب أو يستراب في روايته فتسقط منزلته ويذل في نفسه والله سبحانه وتعالى أعلم .

فقه حديث أبى هريرة : « فلو بثثته قطع هذا البلعوم »

روى البخاري في صحيحه عن أبى هريرة أنه قال : « حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم » .

قالوا أراد بالوعاء الأول الأحاديث التى لم ير ضرراً في بثها فبثها . وأراد بالوعاء الثاني الأحاديث المتعلقه بامراء الجور وذمهم . فقد روى عنه أنه قال : لو شئت أن أسميهم بأسمائهم وكان لايصرح بذلك خوفاً على نفسه منهم .

وقال بعض الصوفيه : أراد الأحاديث المتعلقه بالاسرار الربانيه التى لايدركها إلا أرباب القلوب . وفي كون المراد به هذا فيه نظر لأنه لو كان كذلك لما وسع

أبا هريرة كتمانه من جميع الناس بل كان أظهره لبعض الخواص منهم على أن الذى كتمه أبو هريرة لو كان مما يتعلق بالدين لكان غايته أن يكون من المتشابه ، والمتشابه موجود في الكتاب العزيز وهو يتلى على الناس كلهم وفي كل حين ، وقد روى أبو هريرة كثيراً من الأحاديث المتشابهة .

قلت : ويفرض في المحدث سعة الأُفق وبعد النظر والأُصالة النابعة من امتداد حضارة امتنا المجيدة فيجب عليه أن يراعى حال من يحدثهم فإذا كان فيما ثبت عنده مالا تصل إليه افهامهم وجب عليه ترك تحديثهم به دفعاً للضرر ، فليس كل حديث يجب ويلزم نشره كما يتوهمه الاغمار .

عَارِضَةٌ ونَقْدٌ لمن ذم الإكثار من رواية الحديث :

قال طاهر بن صالح الدمشقي : قال عليّ : «وقولهم هذا داحض بالبرهان الظاهر وهو أن يقال لمن ذم الاكثار من الرواية : أخبرنا ، أخيرٌ هى ؟ أم شرٌ ؟ ولا سبيل إلى وجه ثالث . فإن قال : هى خيرٌ . فالإكثار من الخير خيرٌ .

وإن قال : هى شرٌ ، فالقليل من الشر شرٌ وهم قد أخذوا بنصيب منه .

أما نحن فنقول إن الإكثار منها لطلب ماصح هو الخير كله . ثم نقول لهم : عرفونا حد الإكثار من الرواية المذموم عندكم لنعرف ماتكرهون ، وحد الاقلال المستحب عندكم فإن حدوا لذلك حداً ، كانوا قد قالوا بغير برهان وبغير علم ، وإن لم يحدوا في ذلك حدا ، كانوا قد وقعوا في اسحق منزله إذ لايدرون ماينكرون .

والحق أن الخير كله في التفقه في الآثار والقرآن وضبط ماروى عن النبى ﷺ ، وقد حض النبى ﷺ على أن يبلغ عنه وهذا هو حد التفقه والنذاره إلى أمر الله تعالى .

وليت شعرى إذا كان الاكثار من الرواية شراً فأين الخير ؟ أفى التقليد الذى لا يلتزمه إلا جاهل أو متجاهل أم في التحكم في دين الله بالآراء التى قد حذر الله

تعالى منها ، وزجر النبي ﷺ عنها . وأول من ألف في جمع الحديث حماد بن سلمه ومعمر ثم مالك ثم تلاهم الناس ، ونحن نحمد ذلك من فعلهم ونقول إن لهم ولمن فعل فعلهم أعظم الأجر ، لعظيم ماقيدوا من السنن وكثير مابينوا من الحق ، ومارفعوا من الاشكال في الدين ، وما فرجوا بما كتبوا من حكم الاختلاف . فمن أعظم أجراً منهم .

جعلنا الله ممن تبعهم في ذلك بإحسان ..

ومن أحرز الثاني وأخل بالأول ، لم يبعد من عنه اسم المحدث لكن فيه نقص بالنسبة إلى الأول .

ومن جمع الثلاث كان فقيهاً محدثاً كاملاً ، ومن انفرد باثنين كان دونه إلا أن من اقتصر على الثاني والثالث فهو محدث صرف لاحظ له في اسم الفقيه ، كما أن من انفرد بالأول فلا حظ له في اسم المحدث .

وقال بعض العلماء : «علم الحديث يشتمل على أنواع كثيرة كل نوع منها علم مستقل ، لو أنفق الطالب فيه عمره لما أدرك نهايته» .

كلام نفيس لحجة الاسلام في هذا المقام يبرز الرأى الراجح :

قال رحمه الله تعالى في أوائل كتابه الاحياء :

«وإن تفرغت من نفسك وتطهيرها ، وقدرت على ترك ظاهر الأثم وباطنه وصار ذلك ديدناً لك وعادة متسيرة فيك ، وما أبعد ذلك منك ، فاشتغل بفروض الكفايات ، وراع التدرج فيها ، فابتدىء بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله ﷺ ، ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ ، والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنه ثم اشتغل بالفروع ، وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف . ثم بأصول الفقه وهكذا إلى بقية العلوم على مايتسع له العمر ويساعد فيه الوقت» .

قال مقيده غفر الله ذنوبه وستر عيوبه : كلام الامام الغزالي يرشدنا فيه أن

تأخذ بالأهم ثم تتدنى وتقدم الأنفع والأصلح على حسب حال مجتمعاتنا وما نحتاجه من معارف وعلوم ننهض بها من كبوتنا . فقد أصبحنا في مؤخرة الأمم والشعوب بعد أن سدنا العالم بحضارة عظيمة سعدت البشرية بظلالها دهراً طويلاً .

ثم قال حجة الاسلام : «ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلباً للاستقصاء ـــ فإن العلم كثير والعمر قصير ، وهذه آلات ومقدمات ـــ وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها ـــ وكل مايطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه ـــ فاقتصر من شائع علم اللغة ماتفهم به كلام العرب وتنطق به ، ومن غريبه على غريب القرآن ، وغريب الحديث ودع عنك التعمق فيه واقتصر من علم النحو على مايتعلق بالكتاب والسنة ، فما من علم إلا وله اقتصار واقتصاد ، ونحن نشير إليها في التفسير والحديث والفقه والكلام لنقيس بها غيرها .

فالاقتصار : في التفسير مايبلغ ضعف القرآن في المقدار كما صنفه الواحدى النيسابوري وهو (الوجيز) .

والاقتصاد : ثلاثة اضعاف القرآن ، كما صنفه في الوسيط .

وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مرد له إلى انتهاء العمر .

وأما الحديث فالاقتصاد فيه تحصيل مافي الصحيحين بتصحيح نسخه على رجل خبير بعلم متن الحديث .

وأما حفظ اسامي الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ـــ ولك أن تعدل على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ـــ ولكن تحصله تحصيلاً تقدر منه على طلب ماتحتاج إليه عند الحاجة .

وأما الاقتصاد في علم الحديث فتضيف إلى الصحيحين ماخرج عنهما مما ورد في المسندات الصحيحة .

وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل مانقل من الضعيف والقوى

والصحيح والسقيم ومعرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم . انتهى بتصرف يسير .

وروى بإسناده إلى الأعمش قال : سمعت الحديث ، قلت : لو جلست إلى سارية افتى الناس ، قال فجلست إلى ساريه فكان أول ما سألوني عنه لم أدر ماهو .

قوله : « فكان أول ماسألوني عنه لم أدر ماهو » .

هو من باب هضم نفسه وعدم المفاخرة وخشية الرياء وفيه توجيه لطلبة الحديث خاصة وطلبة العلم عامة أن يتفقهوا وأن التفقه واجب وهو الغاية من دراسة الحديث .

قال الخطابي في معالم السنن عند حديث زيد بن ثابت قال : قال رسول الله ﷺ : « **نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يؤديه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه** » . أخرجه النسائي والترمذي وقال حديث حسن .

قال الخطابي : وفي قوله : « رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » دليل على كراهة اختصار الحديث لمن ليس بالمتناهي في الفقه . لأنه إذا فعل ذلك فقد قطع طريق الاستنباط والاستدلال لمعاني الكلام من طريق التفهم . ومن ضمنه التفقه والحث على الاستنباط معاني الحديث واستخراج المكنون من سره . ٥ /٢٥٣ ح ٣٥١٣ ...

قلت : وكذا الحال إذا عم الناس فكر غريب كالشيوعية والافتتان بدول الكفر والانحلال والتميع والمبادىء الهدامه للدين والخلق وكريم الاخلاق . فإن من أوجب الواجب على أهل العلم المروى عن رسول الله أن يبذلوا أقصى جهدهم لمعرفة تلك الأمراض الفكرية ودراستها والرد عليها ومناظرة معتقديها وضحدهم ولا يليق

بالعالم أن يقول لا أعرف شيئا عن القديانيه أو العلمانيه أو الشيوعيه . وقد ملأت بفكرها الآفاق وانتشرت كتابات العلمانيين والشيوعيين في كل مكان وقد كان سلف هذه الأمه ناظر النصارى وغلاة الروافض والمعتزلة وليس هذا المختصر مناط بسط الكلام على تلك المناظرات .

وإرشاد الناس وتوجيههم وتبصيرهم بأمور دينهم ضرورة لا يختلف فيها عاقلان إلا أن ذلك الارشاد والتوجيه في واقع الأمر ليس من السهل القيام به على الوجه الأكمل والأحسن ، لذا كان من الأمر الواجب والضروري على من يريد أن يرشد الناس أو يفقههم في شئون حياتهم أن يكون على علم ثابت وواضح فيما يريد أن يفتي به حتى لايقول لما هو حلال هذا حرام ولا لما هو حرام هذا حلال ، فيقع في محذور ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿**ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب**﴾ .

وقال عنه الرسول الكريم ﷺ : «من أفتى بغير علم كان اثمه على من افتاه ومن أشار على أخيه بأمر يعلم بأن الرشد في غيره فقد خانه» .
(رواه أبو داود والحاكم) . وأنظر فيض القدير ٥ /٧٧ حديث رقم ٨٤٩٠ .

قال المناوي :

وخرج بقوله بغير علم ما لو اجتهد من هو أهل للاجتهاد فاخطأ فلا اثم عليه بل له اجر الاجتهاد . وروى ابن عساكر وابن حلال والديلمى من طريق أمير المؤمنين على ــ رضى الله عنه ــ وحسنه السيوطي بلفظ : «من افتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض» . انظر المصدر السابق .

ومن هنا كانت مسئولية التوجيه والافتاء بالغة الخطورة سيما إذا تصدر للفتوى من لا يحسنها ، والتوجيه من لايجيده وما أكثر هؤلاء المتصدرين في يومنا هذا الذين جعلوا الاسلام في موقف حرج بإظهارهم اياه بمظهر متناقض مما جعل الآخرين يتهمونه بالجمود وضيق الأفق والسبب في ذلك أولئك الذين لايتورعون عن أن يخوضوا في مسائل من العلم ، هم دون شك لايفهمون ماتجره من طعن

للاسلام وأهله لكن شعورهم بالنقص وخوفهم من أن يقال عنهم إنهم لا يعرفون شيئا من العلم دفعهم للفتوى بما لم يكن مسايرا لواقع الاسلام ومسلماته وأصوله السمحه المتيسره السهله .

وهؤلاء دون شك ولا ريب في زمرة من عناهم النبى ﷺ بقوله : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الناس ، وإنما يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمٌ اتخذ الناس رؤساء جهالا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا ، إن هؤلاء الذين يدعون العلم ويظهرون للناس أنهم علماء . وهم في واقع الأمر لايفهون من الاسلام إلا ماهو بدهى لكل أحد هم في الحقيقة لايظهرون الاسلام في صورة مشوهه عابسة منفره فحسب ، وإنما يفتحون ثغرات للطعن في ذات المنهج وفي عين الاسلام وبالتالي لايدعون له وإنما يدعون عليه وينفرون الناس فيه» .

فالعلم أولا ثم العمل ثانيا ثم التوجيه والارشاد والفتوى ، أما توجيه أو افتاء بغير علم واضح من شريعة الله وضوح الشمس فأمر غير سديد وغير حكيم وخير للانسان إذا سئل علما لا يعلم فيه شيء أن يسكت كما سكت هذا الامام . الجليل على أول مسأله سئل فيها بل لم يكتف بذلك إنما ساقه لنا ذكرى وموعظة ودرسا عن علماء هذه الأمة وكيف كانت مدارسهم وثقتهم بأنفسهم وحبهم للخير حتى للاجيال البعيده .

قال الأعمش : «سمعت الحديث ، فقلت لو جلست إلى سارية افتي الناس ، قال فجلست إلى سارية فكان أول ماسألوني عنه لم أدر ماهو» .

الواعظ الجاهل :

هكذا ظهرت بعض العناوين الجانبيه لبعض علماء الاسلام والمفكرين الاسلاميين الذين تمكنوا من رؤية المجتمع ولهم أدلة ولهم مايسندهم في مثل هذه العناوين الصارخة التى عرت الاغلاط والفواحش المذهلة التى صارت في حق الوعظ .

ذكر هذا العنوان الاستاذ سعيد عبد العزيز الجندول في كتابه (إليكم شباب الأمة) ص ٥٧ وساق تحته قصة فقال :

« في بيت من بيوت الله ، وبعد أن فرغ الناس من صلاتهم ، قام رجل إلى جانب المسجد في وقفه غير هادئه وغير متزنه ، ليقول أيها الناس اتقوا الله وتطلع الجميع لأن يتكلم ويفيض ، ويمطر القلوب العطشى بما عساه أن يكون مفيداً ونافعاً ولكن واعظنا عفا الله عنه استمر بكلام غير مرتب وغير منسق وبالتالي غير محدود الغايه والهدف ، ثم أخرج من جيبه كتيباً صغيراً ليقرأ فيه ، وقال مرة ثانية اتقوا الله ولم يوضح الشيء الذى يريد من المصلين أن يتقوا فيه ثم أشار بأصبعه إلى شيخ هرم كان جالساً بالقرب منه وقال بالحرف الواحد : « الشايب ده أنا شفته اليوم في السوق يقول لا إله إلا الله والاطفال يضحكون عليه والناس ماعاد يصلون الفجر في المسجد » . ثم ازداد حماساً بطريقة مضحكة وقال : « الراديو والعياذ بالله شيطان وصناعته شيطانيه واللى يستمع فيه الاغاني والموسيقى فاسق فاجر كافر » . وهزت هذه الكلمات المسجد هزاً عنيفاً وبدأ الناس يتهامسون فيما بينهم لايدرون بماذا يفسرون واختتم واعظنا بدعاء التوفيق للجميع ثم انصرف ليؤدي سنة الصلاه ، ولكن الكلام من المصلين بدأ يملأ المسجد فمن قائل أن الرجل جاهل ومن قائل أنه مجتهد جزاه الله خيراً ، ومن قائل غير ذلك ، وسلم الرجل من صلاته وتقدم له بعض المصلين مستوضحا عن بعض الكلمات التى وردت في موعظته ودليله على ذلك من القرآن والسنة ، ولكنه لم يجب إلا باصراره بأن من يستمع الأغاني ويتلذذ بها فهو كافر وهاج المسجد بمن فيه وعبثا يحاول المعترضون اقناع صاحبنا فيوغل في المكابده ، دون علم ويصر في التمادي في الباطل ويحرج الناس موقفه بمطالبته الدليل فلا يجد غير ماهو مسطر بذلك الكتيب الذى كان يقرأ فيه واسمه (حسن الافادة إلى طريق السعادة) ألفه بعض أصحاب أبى حنيفه رحمه الله وهذا الكتيب وأمثاله من بعض الكتب التى تؤلف وتنشر بين الناس على أنها تمثل وجه نظر الاسلام هى في واقع الأمر تشوه جمال الاسلام وتنفر منه ولهذا نقول لصاحبنا هذا وأمثاله : اتقوا الله ولا تتكلموا إلا عن علم ومعرفة وأعلموا أن تكفير المسلم بغير دليل قاطع من شريعة الله أمر خطير للغاية وقد قال رسول الله

ﷺ : « من كفر مسلما بغير حق فقد كفر » .

وإن التحريم والتحليل لايكونان إلا بدليل ثابت من دين الله ، لأن الدين ليس بالرأى ولا بالتخمين ولا بالإدعاء ولكنه فهم وعمل ودعوة إلى الله على بصيرة .

وروى باسناده إلى الخلال (٣٦) قال : حدثنا أبو عمر أحمد بن محمد بن سهيل (٣٧) ، قال حدثنى رجل (٣٨) ذكره من أهل العلم ، قال بن خلاد ونسبت اسمه — قال وقفت امرأه على مجلس فيه يحيى بن معين (٣٩) وأبو خيثمه (٤٠) وخلف بن سالم (٤١) في جماعة يتذاكرون الحديث فسمعتهم يقولون قال رسول الله ﷺ ورواه فلان ، وما حدث به غير فلان (فجاءتهم امرأة) فسألتهم عن الحائض تغسل الموتى — وكانت غاسلة فلم يجبها أحد منهم فجعل بعضهم ينظر إلى بعض فأقبل أبو ثور (٤٢) فقال لها : عليك بالمقبل ، فالتفتت إليه وقد دنا منها فسألته فقال : نعم تغسل الميت لحديث القاسم (٤٣) عن عائشة (٤٤) أن النبى ﷺ قال لها : وإن حيضتك ليست في يدك (٤٥) ولقولها « كنت افرق رأس النبى ﷺ وانا حائض » (٤٦) قال أبو ثور : فإذا فرقت رأس الحى فالميت أولى ، فقالوا : نعم رواه فلان وحدثناه فلان ، ويعرفونه من طريق كذا وخاضوا في الطرق . فقالت المرأه فين كنتم إلى الآن .

(٣٦) الخلال هو أحمد بن خالد الخلال أبو جعفر البغدادي الفقيه (ت ٢٤٧) . تهذيب الكمال ١ /٣٠١ ..

(٣٧) أبو عمر أحمد بن محمد بن سهيل .

(٣٨) كلمة (رجل) إبهام سند وكذا (أمرأه) .

(٣٩) يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام أمام الجرح والتعديل غنى عن التعريف . ولد يحيى سنة ١٥٨ ومات في مدينة الرسول ﷺ سنة ٢٣٣ . وله

سبعة وسبعون سنة إلا نحوا من عشرة أيام .

(٤٠) أبو خيثمه : التهذيب ٣ /٣٥١ ترجمة رقم ٦٤٨

هو زهير بن معاوية بن حديج (بضم المهمله وفتح الدال) بن الرحيل الجعفي الكوفي . قال عنه شعيب بن حرب : كان زهير أحفظ من عشرين مثل شعبه . (مات سنة ١٧٢) .

(٤١) خلف بن سالم لمخزومى البغدادي الحافظ ـــ التهذيب ٣ /١٥٣ روى عن هشيم وابن علية وجماعة وروى عنه أبو بكر أحمد بن على بن سعيد المروزي وعثمان الدارمى ويعقوب بن شيبة وقد نقموا عليه لتتبُعه أحاديث في مثالب الصحابه (مات سنة ٢٣١) وهو ابن ٦٩ سنة .

(٤٢) أبو ثور : هو إبراهيم بن خالد بن بى اليمان أبو ثور الكلبي الفقيه البغدادي . ويقال كنيته أبو عبد الله وأبو ثور لقب . سُئل عنه أحمد فقال : «أعرفه بالسُنة منذ ٥٠ سنة ، وقال أحمد لرجل سأله عن مسألة : سل الفقهاء ، سل أبا ثور» .
كان أحد ائمة الدنيا فقهاً وورعاً وفضلاً وديانةً . التهذيب ١ /١١٨ (مات سنة ٢٤٠) .

(٤٣) القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق أبو محمد ويقال أبو عبد الرحمن روى عن أبيه وعمته عائشة والعبادلة .

كان ثقة رفيعاً عالماً فقيهاً أماماً ورعاً كثير الحديث .
قال البخاري : «قتل أبوه وبقى القاسم يتيماً في حجر عائشة»
(التهذيب ٨ /٣٣٤)

(٤٤) عائشة أم المؤمنين الصديقة أشهر نسائه ﷺ تزوجها قبل الهجرة بسنتين وهى بكر وعمرها ست سنين وبنى بها وهى بنت تسع . الفقية العابدة المجاهدة . توفيت سنة ٥٨ . (أنظر أسد الغابة ٧ /١٩٠)

(٤٥) حديث «إن حيضتك ليست في يدك» .

حديث من حيث الدراية مرفوع إلى النبي ﷺ . ومن حيث الرواية فهو حديث مقطوع بصحته . ومن حيث التخريج فقد أخرجه مسلم في صحيحة حديث رقم ١١و١٣ من كتاب الحيض .

ورواه أبو داود في سننه في كتاب الطهارة باب رقم ١٠٣و١٠١ . ورواه النسائى في كتاب الطهاره أيضاً باب رقم ١٧٢ وفي الحيض باب رقم ١٨ ورواه الدارمى في كتاب الوضوء باب رقم ١٠٨ ورواه أحمد في المسند ٢ /٧٠ .

(٤٦) حديث : «كنت أفرق رأس النبى ﷺ وأنا حائض» .

الحديث من حيث الدراية له حكم المرفوع لاقرار النبى ﷺ عائشة عليه مع علمه بأنها حائض ومن حيث الرواية فالحديث صحيح ومن حيث التخريج فقد أخرجه الأئمة منهم :

* البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتكاف باب ٢و٣ .
* مسلم في كتاب الحيض حديث رقم ٦و٩ .
* النسائي في كتاب الطهاره باب ١٧٥ مكرراً وفي الحيض باب ٢١ .
* ابن ماجه في كتاب الصيام باب ٦٤ .
* مالك في الموطأ كتاب الاعتكاف باب (١) .

طرف من همته في طلب العلم وكتبه :

قال مجاهد بن موسى : «كان ابن معين يكتب الحديث نيفا وخمسين مره» .

وقال ابن الدوري عن ابن معين : «لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجها ماعقلناه» .

وقال ابن المدينى شيخ البخاري : «انتهى العلم إلى يحيى بن آدم وبعده ليحيى بن معين وفي رواية عنه : انتهى العلم إلى ابن المبارك وبعده إلى يحيى بن معين .

وقال محمد بن رافع : «سمعت أحمد بن حنبل يقول : كل حديث لا يعرفه ابن معين فليس هو حديث . وفي رواية فليس هو ثابت» .

قال الحافظ في تهذيب التهذيب ١١ /٢٨٧ : «وقد انفرد يحيى بأشياء بالفقه يخالف فيها مذهب المحدثين منها مذهبه قال عباس الدوري : سمعت يحيى في زكاة الفطر لابأسبأن يعطى فضه . وسمعت يحيى يقول : لا أرى الصلاة على الرجل بغير البلد .

ولا أرى الرجل أن يزوج الرجل أمرأته على سورة من القرآن . وفي الرجل يصلي خلف الصف . وحده ، قال : يعيد ــ وفي أمرأة ملكت أمرها رجلا فأنكحها قال بل يذهب إلى القاضي فإن لم يكن فإلى الوالي .

النهي عن اعتراض العلماء بصعاب المسائل :

عن معاوية ــ رضى الله عنه ــ : «أن النبي ﷺ نهى عن الأغلوطات» رواه أبو داود وفيه عبد الله بن سعد قال أبو حاتم : مجهول . قال : «نهى عن الاغلوطات» . أبو داوده /٢٥٠ .. ح ٣٥٠٩ .

قال الأوزاعي : هى شرار المسائل والاغلوطات واحدها أغلوطة وزنها افعوله من الغلط كالاحموقه من الحمق والاسطوره من السطر فأما الأغلوطات فوحداتها أغلوطة : اسم مبنى من الغلط ، كالحلوبه والركوبه من الحلب والركوب والمعنى : أنه نهى أن يعترض العلماء بصعاب المسائل التى يكثر فيها الغلط ليستنزلوا بها ويستسقط رأيهم فيها وفيه كرايه التعمق والتكلف فيما لا حاجة للانسان إليه من المسائل ، ووجوب التوقف عما لا علم للمسئول به وقد روى عن أبي بن كعب ــ رضى الله عنه ــ :

أن رجلاً سأله عن مسألة فيها غموض . فقال : هل كان هذا بعد ؟ قال : لا . فقال امهلنى إلى أن يكون وسأل رجل مالك بن أنس عن رجل يشرب في الصلاه ناسيا ؟ فقال : ولمَ لم يأكل ؟ ثم قال : حدثنا الزهرى عن على بن حسين أن النبي ﷺ قال : «إن من حسن اسلام المرء تركه من لا يعنيه» .

وفي سنن أبي داود عن صخر بن عبد الله بن بريده عن أبيه عن جده ــ رضى الله عنه ــ قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن من البيان سحرا وأن من العلم جهلا ، وأن من الشعر حكما ، وأن من القول عيالا» .

قوله إن من البيان سحرا : الرجل يكون عليه وهو الحق بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق .

قوله «إن من العلم جهلا» فيتكلف العالم إلى علمه ما لايعلم فيجهله ذلك .

قوله «إن من الشعر حكما» فهو هذه المواعظ والأمثال التى يتعظ بها الناس .
(سنن أبى داود ومعالم السنن ٧ /٢٩٢) ..

الفصـل السابع

وقال الخطيب :

«إنما أسرعت السنه المخالفين إلى الطعن على المحدثين لجهلهم الفقه وأدلته»

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول :

الحديث اليوم يتعرض للاساءة

المبحث الثاني :

دعوى (الحديث يجمع الفقه كله) .

قال : وإنما أسرعت ألسنة المخالفين إلى الطعن على المحدثين لجهلهم أصول الفقه وأدلته في ضمن السنن مع عدم معرفتهم بمواضعها فإذا عرف صاحب الحديث بالفقه خرست عنه الألسن ، وعظم محله في الصدور والأعين ، وخشى من كان عليه يطعن .

فصل : وقال :

« وإنما أسرعت السنة المخالفين إلى الطعن على المحدثين لجهلهم أصول الفقه وأدلته » .

وقد جمع علماء هذه الأمة المباركة بين هذه العلوم النافعة وكمل الأئمة في علم الحديث وجمعوا بينه وبين الفقه فهم الأصليون الغواصون على المعاني الدقيقه .

ووصف الخطيب هنا للمحدثين بقوله : « وإنما أسرعت السنه المخالفين إلى الطعن على المحدثين لجهلهم أصول الفقه وأدلته في ضمن السنن » .

فالخطيب من المحدثين فكيف يصفهم بالجهل في أصول الفقه وأدلته التى في السنن . ويظهر لى أنه أراد بعض المحدثين ممن رأى فيهم الاكتفاء بالتنقيب في الاسناد والروايات وقد أشار في موطن متقدم من نصيحته إلى هذا الصنف من المحدثين الذين لا يعتنون بالتفقه في المتن الذي هو ضمن قواعد الأصوليين كما أنه حجة بنفسه لا حاجة أن يعرض على غيره من علوم الصناعات . لكن لابد من اتقان النظر فيه وفي تلك الأصول لكيلا يقع طالب الحديث في المعارضه بينه وبين الأصول أو التفسير أو الفقه .

وأراد بقوله : «لجهلهم أصول الفقه» أصحاب النزعه الضاله المقلله من شأن الأصول الذين لزموا بيوتهم ولم يطلبوا العلم ولم يغدوا ولم يرحوا في طلبه من مظانه واقتباسه من أهله وقد آل حالهم في يومنا هذا إلى الدعوة إلى ترك دراسة الأصول سواء في الفقه أو الحديث أو التفسير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وقد ظهرت جماعة بنواحي السودان ومصر وغيرها من بلدان الاسلام تسخر بالفقه والفقهاء بل الحديث وكان حديث ابى رافع — رضى الله عنه — يخصهم ويعنيهم .

روى الترمذى وابن ماجة وأبو داود عن عبد الله بن أبى رافع عن أبيه — رضى الله عنهما — عن النبى ﷺ قال : «لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته ، يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا ندرى ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه» . وشر مثل هذه الجماعة عظيم وفتنتها اطم فهى أولا وأخيرا هدفها التشويش على معتقدات المسلمين وزعزعت أفكارهم وتضليلهم عما كانوا عليه سلف هذه الأمة من سلامة العقيدة والشريعة وما سطره علماء الاسلام من فقه نير سليم .

وقد اسرعت ألسنة الفقهاء بتلك النواحي بالطعن عليهم وتحذير الناس من مجالستهم أو السماع منهم وناظرهم البعض وكتب عليهم في الصحف السياره والمجلات العلميه النافعة ، ومن الكتاب من أفرط وعمم وصار هدفه وهمه تلك الجماعات فأسرف وتجاوز الحد والاسراف مذموم فتعدى إلى بعض الصالحين من شباب الأمة دون قصد . ولحسن تربيتهم وما نشأوا عليه من منهج سليم وتربية فكرية صحيحة لم يردوا ولم ينقدوا فجزاهم الله خيرا ولعنه الله والملائكه على اعداء الاسلام والمارقين عن هديه ﷺ .

الحديث يتعرض للاساءه :

يقول الغزالي في هموم داعية ص ١٩٠ .

«تراث السنه نفسه تعرض لمتاعب من مسلمين مخلصين لم يحسنوا تناوله ولم

يلتزموا الضوابط التى وضعها أئمة السنه الأولون ، فكانوا للأسف بلاء على السنة وفتانين على الاسلام كله ولو لزموا موقف الأئمه الأوائل لكانوا أهدى سبيلا .

هناك من يسوى بين الأخبار المتواترة دون تطبيق للشروط العلميه المقرره عن ضرورة خلوها من الشذوذ والعلل والقوادح .

وهناك من يقضى سحابه عمره في دراسه السنن وصلته بالقرآن الكريم واهية بهدايته كليل ولذلك لا يحسن وضع الأحاديث في مواضعها المعينه من كتاب الله ولا وضع النسب بين الأركان والنوافل والغايات .

إلى أن قال : .... ولأدْخُلْ في الموضوع الذى أريده .. في سورتى الشمس والليل نقرأ هذه الآيات : ﴿**ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها**﴾ . (الشمس ٧ — ١٠) .

« فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى . ومايغنى عنه ماله إذا تردى » .

السياق في السورتين الكريمتين صارخ في إظهار الجهد البشرى صارخ في أن الانسان صانع مستقبله السياق مبين كل الابانة عن كسب الانسان واكتسابه وأنه هو لا غيره الذى يغرس ويجنى ماغرس .

ويتجه دون شائبة اكراه — إلى ماينبغى ، ولا يخرج هذا عن قدر الله الذى علم بفعله من الأزل . ولكن بعض المحدثين يذكرون من رواياتهم هنا لتقتل هذا السياق قتلاً ، وتجعل المرء مقهورا مجبورا مغلوبا على أمره لا حيلة له ولا عزم .

من السياق القرانى نقول في جزم أن من زكى نفسه وكبح هواه فقد أفلح لا مرية في ذلك وأن من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فهو إلى خير لاشك في ذلك .

وزلزلة هذه الروابط بين السبب والنتيجة مرفوض في دين الله ، بل هو جريمة نفسية واجتماعية ولايجوز تأويل الآيات البينات لتوافق ماروى من أخبار الاحاد بل

الواجب تأويل أخبار الاحاد لتستقيم مع الآيات ولتنسجم مع العقل والنقل . إذ الفرع يمال به إلى الأصل لا العكس .

وإذا كان لبعض الناس ذاكرة جيدة وليس لهم بصيرة نيرة ، فعليهم تسليم محفوظاتهم إلى الفقهاء لينزلوها في مكانها الصحيح . وهذا هو السر في نفى على نفر من علماء السنه أنهم أفنوا أعمارهم في دراسة الحديث وبقوا سطحيين في فهم القرآن الكريم .

ويسوق لنا الغزالي ــ حفظه الله وأمد في عمره وأكثر أمثاله من العلماء النافعين ــ الكلام والشواهد موضحا أن صاحب الحديث لا يفيد بحديثه ولا ينفع إلا أن دقق معناه وفقهه وربطه بالقرآن لا عارضه بالقرآن فأحدث المعضلات وأفسد على الناس وعكر عليهم الفهم السليم .

وقول الغزالي ص ١٩٨ . « بيد أن ناساً خفاف الفقه يرون ما يخالف المقطوع به وينتظرون أن نستمع إليهم . ومن المقطوع به أن الله تبارك وتعالى لايزل قدم عابد أخلص له لأنه يريد ايذاءه وسبق بذلك قضاءه ولا يقبل مجون فاجر تمرد عليه لأنه يريد إدخاله الجنه وسبق بذلك علمه ويستحيل شرعاً أن يسوى بين مؤمن وكافر كما يستحيل شرعا أن يدخل المؤمنين النار ويدخل الكفار الجنه .

ومن طبيعة الجزاء الأعلى يقول الله تبارك وتعالى : ﴿**افنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون**﴾ . (القلم ٣٥ــ٣٦) . ويقول : ﴿**أم حسب الذين اجترحو السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون**﴾ .

ومع ذلك فإن البعض يريد أن يثير الخلل في هذه الموازين قائلا : «إن الله لا يسأل عما يفعل ، وله أن يتصرف في ملكوته كيف يشاء» . وهذا حق أريد به الباطل وهو ينطوي على جهل بأمجاد الألوهية وبأسماء الله الحسنى ومايقول ذلك من يعرف أن الله هو الحميد المجيد الحكم الرحيم العدل المقسط .

إنه قادر واسع القدرة وفي الكتاب العزيز : ﴿**فمن يملك من الله شيئا إن أراد**

أن يهلك المسيح وأمه ومن في الأرض جميعا ...﴾ . (المائدة ١٧) ..
بداهة لا أحد يملك شيئا لو أراد مالك الملك أن يهدمه على رؤوس الأنبياء والملائكة ولكنه عز وجل ماأهلك نبيا ولا ملكا وإنما أهلك الكفرة الفجرة وحدهم عندما نفهم أنه يَرُدُّ التائبين ، ويقبل الفاسقين لأنه لا يسأل عما يفعل فنحن نعبث بالدين كله وننسب إلى الرحمن الرحيم ما لا يليق به . أ . هـ

□□□□

وروى بإسناده إلى وكيع (٤٧) قال لقينى أبو حنيفة (٤٨) فقال لي : لو تركت كتاب الحديث وتفقهت أليس كان خيراً ؟ فقلت أليس الحديث يجمع الفقه كله ؟ قال ماتقول : في امرأة ادعت الحمل وأنكر الزوج ؟ فقلت له حدثنى عباد بن منصور (٤٩) عن عكرمه (٥٠) عن ابن عباس (٥١) — رضى الله عنهما — أن النبى ﷺ لا عن بالحمل ، فتركنى فكان بعد ذلك إذا رأنى في الطريق أخذ في طريق آخر .

المبحث الثاني

(٤٧) وكيع بن الجراح بن مليح الرواسلي أبو سفيان الكوفي الحافظ ولد سنة ١٢٨ وتوفى سنة ١٩٦ .

طرف من قوة ذاكرته وهمته : قال اسحاق بن راهويه شيخ الامام البخاري : « كان حفظه طبعا وحفظنا بتكلف » وقال يحيى بن يحيى : « لم أر من الرجال احفظ منه » .

وقال على بن خشرم : « رأيت وكيعا وما رأيت بيده كتابا قط إنما هو يحفظ فسألته عن دواء الحفظ ، فقال : ترك المعاصى ماجربت مثله للحفظ » . وقال يحيى بن اكثم : « صحبت وكيعا في الحضر والسفر فكان يصوم الدهر ويختم كل ليله » .

وقال سلم بن جناده : « جالست وكيعا سبع سنين فما رأيته بزق ولا مس حصاه ولا تحرك من مجلسه إلا مستقبل القبله وما رأيته يحلف بالله العظيم » . وقال أحمد بن حنبل : « ما رأيت مثل وكيع في الحفظ والاسناد والابواب مع خشوع وورع » .

دعوى الحديث يجمع الفقه كله

الثورة حول دعوى الحديث يجمع الفقه كله ويشتمل على الفتوى لا تكاد تفتر في زمن من الأزمان ، وقد نجد في تاريخ علماء الأمة ومناقبهم الاعتراضات والعتاب على من سلب أحد الأئمة لقب المحدث وأيضا نجد من آخر القسوة والكلام اللاذع على من ترجم لأحد الأعلام وسلبه لقب الفقيه أو تناسى فيه ذلك .

ومن ذلك العتاب ماذكره ابن الجوزى في كتابه (المنتظم ٨ /٢٦٧) . وقد تتبع في هذا الكتاب وفي غيره الخطيب البغدادي من سنة ٣٩٢ ـــ ٤٦٣ فيما قاله في تاريخ بغداد ورد عليه بقسوة وكلام لاذع ومن تلك الردود قوله : « فقال في ترجمة أحمد بن حنبل « سيد المحدثين » وفي ترجمة الشافعى « تاج الفقهاء » فلم يذكر أحمد بالفقه» .

فأنظر كيف ثار ابن الجوزي وغضب لعدم ذكر أحمد بالفقه ووصفه بالفقيه وذلك لأهمية الفقه عند العلماء ، وفتر ابن الجوزي في سلب الشافعى من معنى المحدث لا للتعصب ولكن في أحمد رأى أن المنقصة أكبر .

وقد علق الشيخ المعلمى في كتابه (التنكيل بما في تأنيب الكوثرى من الأباطيل ١ /١٤١ــ١٤٢) . فقال :

«أما ما قاله الخطيب في ترجمتى أحمد ، والشافعى ، فلفظه في المطبوع جـ ٤ ص ٤١٢ في ترجمة أحمد « ... أمام المحدثين ، الناصر للدين والمناضل عن السنه ، والصابر في المحنه » وفي آخر الترجمه جـ ٤ ص ٤٢٣ «قد ذكرنا مناقب أبى عبد الله أحمد بن حنبل مستقصاه في كتاب افردناه لها فلذلك اقتصرنا في هذا الكتاب على ما أرودناه منها . وعبارته في ترجمة الشافعى ج ٢ ص ٥٦ . « زين الفقهاء وتاج العلماء »» .

ثم قال : المعلمى : «فعلى هذا للشافعيه أن يعاتبوا الخطيب قائلين لم تذكر الشافعى بالحديث ، فإن كنت لا تراه محدثا فقد سلبته أعظم الفضائل ولزم من

ذلك سلبه الفقه والعلم الذى يعتد به . وإن كنت تراه محدثا فقد جعلت أحمد أماما له أو سيدا للمحدثين مطلقا ، فشمل ذلك الفقهاء منهم فلزم أن يكون امام الفقهاء أو سيدهم مطلقا ، ومع ذلك لم تذكر الشافعى بنصرة الدين ولا النضال عن السنة ، فأما قولك : « زين الفقهاء وتاج العلماء » فلا يدفع ماتقدم لأن المتزين أفضل من الزينه ولابس التاج أفضل من التاج» .

ثم قال المعلمى : «والصواب أن المناقشه في مثل هذا ليست من دأب المحصلين وإنما الحاصل أن المترجم يتحرى في صدر الترجمة أشهر الصفات . فاحمد لتبحره في معرفة الحديث وتجرده لنصرة السنه ، كان أشهر بذلك منه الفقه ، والشافعى لتجردة للفقه كان اشهر به» .

انتهى كلام المعلمى وقد تناوله الباحثون من المحدثين المعاصرين بالتوضيح فالينظر كتاب العلامه شيخى واستاذي المحدث الملهم محمود بن أحمد الطحان في كتابه « الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث » .

قال على رضى الله عنه :

لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه ، يقص أحدكم وعظه على اصحابه ويسرد الحديث سردا ، إنما كنا نقعد فنذكر الايمان وتنذير القرآن ونتفقه في الدين ونعد نعم الله علينا تفقها ، فسمى تدبر القرآن وعد النعم تفقها ونبذ سرد الحديث من غير توقف عند رقائقه وسننه ومستحباته وفيه علم المعامله والحلال والحرام وأحوال القلب كالصبر والاحسان والشكر والخوف والرجاء والرضى والزهد والتقوى والقناعه والسخاء ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الأحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص . ومعالجة مايذم وما يقبح كخوف الفقر وسخط المقدر والغل والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والأنفه والعداوة والطمع والبخل والبذخ والأثر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق فيما لايعنى وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال

عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن عن القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق والقسوة وطول الأمل والفرح بالدنيا والأسف على فواتها والأنس بالمخلوقين .. الخ .
(أنظر الاحياء ص ١ /١٩ بتصرف قليل) .

كل هذا نجده في سنة المعصوم ﷺ ولكن من المغالطة أن تقول الجزئيات متناهيه والسنه فيها كل شيء وإلا لما احتاج الناس إلى الفقهاء والمفسرين لأعمال الاجتهاد والقياس والأدله المرنه (١) التى تواكب كل جديد وكل حادثة مدلهمة والقرآن الكريم والسنه النبوية المطهرة مصدران ثابتان كاملان في القواعد . والاجتهاد وأعمال القياس من الأدله المرنة التى تلحق الفرع بالأصل .

فدعوى إبطال إعمال الفكر السليم ضرب من ضروب العبث بالسنه بل بالقرآن فإن الاقتباس السليم والقياس الصحيح هو عمل أهل القبلة من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى يوم القيامة .

قال الزهرى لرجل :
ايعجبك الحديث ؟ قال : نعم قال إما أنه لا يعجب إلا الفحول من الرجال ولا يبغضه إلا أناثهم .

قال عبد الله بن هاشم الطوسى :
كنا عند وكيع فقال : الأعمش أحب إليكم عن أبى وائل عن عبد الله ، أو سفيان بن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله ؟ فقلنا : الأعمش عن أبى وائل أقرب : فقال الأعمش شيخ وأبو وائل شيخ وسفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمه عن عبد الله فقيه عن فقيه عن فقيه .

(٤٨) أبو حنيفة :

هو النعمان بن ثابت التيمى الكوفي مولى بنى تيم الله ابن ثعلبه وقيل أنه من أبناء فارس كان خزازا يبيع الخرز . وقال حفيدة إسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة : « نحن من أبناء فارس الأحرار ولد جدى النعمان ٨٠ هـ وذهب جدى ثابت إلى على

(١) نعم السنة فيها كل شئ والاستنباطات لا تخرج عن الكتاب والسنة .

وهو صغير فدعا له بالبركه فيه وفى ذريته» . مات ١٥٠ هـ .
من ثناء العلماء عليه : قال ابن المبارك : «افقه الناس أبو حنيفه مارأيت في الفقه مثله . وقال أيضا : لولا أن الله اغاثنى بأبى حنيفه وسفيان كنت كسائر الناس» .

وقال أبو نعيم : «كان أبو حنيفه صاحب غوص في المسائل» .

وقال يحيى بن سعيد : «لا نكذب الله ما سمعنا أحسن من رأى أبى حنيفه وقد أخذنا بأكثر أقواله» .

وقال الشافعي : «الناس عيال في الفقه على أبى حنيفه» .
(تهذيب التهذيب ١٠ /٤٤٩) ..

(٤٩) عباد بن منصور أبو سلمه البصرى القاضي مات سنة ١٥٢ .
(تهذيب التهذيب ٥ /١٠٥) ..

(٥٠) عكرمه :

عكرمه البربري أبو عبد الله المدنى مولى ابن عباس أصله من البربر كان لحصين بن أبى الحر العنبري فوهبه لابن عباس لما ولى البصره لعلى .

نصيحة ابن عباس له :

عن عكرمه قال : «قال لى ابن عباس : انطلق فأفت الناس ، وأنا لك عون قال : فقلت له لو أن هذا الناس مثلهم مرتين لا فتيتهم . قال فانطلق فافتهم فمن جاءك يسألك عما يعنيه فافته ومن سالك عما لا يعنيه فلا تفته فإنك تطرح عنك ثلثى مؤنه الناس» . (تهذيب التهذيب ٧ /٢٧١) ..
قلت ما انفع هذه الكلمات لو وعيناها معشر طلبه الحديث والعلم أنها توفر الكثير من ما يملأ على الانسان يومه ويعكر عليه صفو المذاكره والمطالعة والافادة . يالها من كلمات عليها من نور وياله من توفير وادخار وما أنفسه وما اغلاه (تطرح عنك ثلثى مؤنه الناس) خاصة في ظروفنا التى نعيش فيها . فقد بلى العلماء وطلبة العلم ببعض الثقلاء والحمقى ممن يقتلون زمن العلماء بالتردد عليهم ومضايقتهم في

ساعات هم في أمس الحاجه إليها . وليس لهم من الأسئلة مما يعنيهم في شيء وبعضهم يقصد السؤال للتعجيز والامتحان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

(٥١) ابن عباس : (تهذيب التهذيب ٥ /٢٧٦) .

عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمى ابن عم النبى ﷺ كان يقال له ـــ الحبر والبحر ـــ لكثرة علمه مات سنة ٦٩ . بالطائف وكان له عند موت النبى ﷺ ١٣ سنة .

طرف من ثناء العلماء على علمه :

قال عبد الله بن مسعود : لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشره منا أحد .

كان عبد الله بن عمر يقول : «ابن عباس أعلم أمه محمد ﷺ بما أنزل على محمد ﷺ» .

قال يزيد بن الأصم : خرج معاويه حاجاً ، وخرج ابن العباس حاجاً ، فكان لمعاوية موكب ولابن عباس ممن يطلب العلم موكب .

وقالت أم المؤمنين عائشة ـــ رضى الله عنها ـــ :
«ابن عباس أعلم الناس في الحج» .

□□□□

وروى بإسناده إلى على بن خشرم (٥٢) قال : سمعت وكيعا غير مره يقول : يافتيان تفقهوا فقه الحديث فإنكم إن تفقهتم فقه الحديث لم يقهركم أهل الرأى (٥٣) .

(٥٢) على بن خشرم بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المروزي أبو الحسن الحافظ قريب بشر الحافي ابن عمه وقيل ابن اخته قال : عن نفسه : ولدت عام ١٦٥ وصمت ثمانية وثمانين رمضانا ومات في رمضان عام ٢٥٧ . (تهذيب التهذيب ٧ /٣١٦) ..

(٥٣) أهل الرأى ويقال لهم الأرئيتين من يقدمُ الرأى على خبر الآحاد .

وروى بإسناده إلى علي بن خشرم المروزي أيضا قال سمعت وكيعا يقول لاصحاب الحديث لو أنكم تفقهتم بالحديث وتعلمتموه ما غلبكم أصحاب الرأى ، ما قال أبو حنيفة في شيء يحتاج إليه إلا ونحن نروى فيه بابا ، قال رحمه الله ولابد للمتفقه من استاذ يدرس عليه ويرجع في تفسير ما أشكل إليه ، ويتعرف منه طرق الاجتهاد ، وما يعرف به الصحة والفساد .

قوله : «ولابد للمتفقه من استاذ يدرس عليه ويرجع في تفسير ما أشكل إليه» .

ومن ذلك مافي سنن أبي داود عن أبي الصلت قال : كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز ، يسأله عن القدر ؟ فكتب عمر :

«أما بعد أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعد ماجرت به سنته ، وكفوا مؤنته : فعليك بلزوم السنه فإنها لك ــ بإذن الله ــ عصمة» . ثم أعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا مضى قبلها ماهو دليل عليها . أو بعبرة فيها ، فإن السنه إنما سنها من قد علم مافي خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق ، فأرض لنفسك مارضى به القوم لانفسهم فإنهم على علم وقفوا وببصر نافذ كفوا ولهم على كشف الأمور كانوا اقوى وبفضل ماكنوا فيه أولى . فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه ولئن قلتم : «إنما حدث بعدهم» .

ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم فإنهم هم السابقون ، فقد تكلموا فيه بما يكفي ووصفوا منه ما يشفى فما دونهم من مقصر وما فوقهم

من محسر ، وقد قصر قوم دونهم فجفوا وطمح عنهم اقوام فغلوا وأنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم .

كتبت تسأل عن الاقرار بالقدر ، فعلى الخبير باذن الله وقعت ما أعلم ماأحدث الناس من محدثه ، ولا ابتدعوا بدعه ، هى أبين أثراً ولا أثبت أمراً من الاقرار بالقدر . لقد كان ذكره في الجاهلية . الجهلاء يتكلمون به في كلامهم وفي شعرهم ، ويعزون به أنفسهم على مافاتهم ثم لم يزده الاسلام بعد الاشدة ، ولقد ذكره رسول الله ﷺ . في غير حديث ولا حديثين وقد سمعه منه المسلمون فتكلموا به في حياته وبعد وفاته يقينا وتسليما لربهم وتضعيفا لأنفسهم ، أن يكون شيء لم يحط به علمه ، ولم يحصه كتابه ، ولم يمض فيه قدره ، وأنه مع ذلك لفى محكم كتابه منه اقتبسوه ومنه تعلموه ولئن قلتم : «لم أنزل الله آية كذا ؟ ولم قال كذا» .

لقد قرأوا منه ماقرأتم وعلموا من تأويله ماجهلتم وقالوا بعد ذلك كله بكتاب وقدر ، وكتبت الشقاوة ومايقدر يكن ، وماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا نملك لأنفسنا نفعا ولا ضرا ، ثم رغبوا بعد ذلك ورهبوا .

(أبو داود حديث ٤٤٤٧)

وما أحسن ماقاله القرضاوي في كتابه الرسول ﷺ ص ٣٠ حيث يقول اطال الله في عمره وبارك فيه : «وكم من أناس في الماضي حملوا سيوفهم على عواتقهم يقاتلون من عصم الله دماءهم وأموالهم يزعمون أنهم بذلك يجاهدون ، فيقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الأوثان ! أولئك هم الخوارج الذى صح الحديث في ذمهم من عشرة أوجه كما قال الامام أحمد بن حنبل وأيده ابن تيميه .

وما ذلك إلا أنهم تعبدوا قبل أن يتعلموا وجاهدوا قبل أن يتفقهوا ، وتعجلوا العمل قبل العلم ، فضل سعيهم ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

وكم من شباب في زماننا دفعهم الحماس الكثير في صدورهم مع العلم القليل في رؤوسهم ، والإعجاب المزهو برأيهم ، إلى رفض أمتهم ، وتكفير جماهيرها ،

واعتبار أوطانها ديار كفر لا دار إسلام ، فاستحلوا بذلك ماحرم الله ، واسقطوا ما أوجب الله ، اتباعاً لمتشابه النصوص وابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .

ولو تعلموا وفقهوا ، وتلقوا العلم من أهله ، وعرفوه من مناهله ، لوقف بهم العلم عند حدودهم ، وعرفهم حقيقة الجهاد : كيف يكون ؟ ومتى يكون ؟ ولمن يكون ؟ وهذا مانصح به الامام الحسن البصري ــ رضى الله عنه ــ حيث يقول : « العامل على غير علم ، كالسالك على غير طريق ، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح . فاطلبوا العلم طلباً لايضر بالعبادة ، واطلبوا العبادة طلباً لايضر بالعلم ، فإن قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا » .

(انظر مفتاح دار السعادة) .

□□□□

الفصل الثامن

وقال أبو حنيفه «لا تفقه هؤلاء أبداً»

ويشتمل على :

المبحث الأول :

التصدر للتدريس قبل أوانه

المبحث الثاني :

تعظيم المعلم من تعظيم العلم

وروى بإسناده إلى سليمان بن أبى شيخ : قال اخبرنى بعض الكوفيين . قال : قيل لابى حنيفه رحمه الله في المسجد حلقه ينظرون في الفقه . قال : لهم رأس ؟ قالوا لا قال لا تفقه هؤلاء أبدا .

فصـل :

وقال أبو حنيفه : «لا تفقه هؤلاء أبدا» .

يقصد الامام الأعظم بسؤاله (لهم رأس ؟) أى عالم عارف عامل لا مجرد زعامه أدبيه ورئاسه جاهله إذ يستبعد وجود حلقه من غير رأس وشيخ يجتمع إليه ، وقد يحدث أن يجتمع بعض الناس على الضلال ومن ذلك ماروى الشعبى قال : « بينما عبد الملك بن مروان بن الحكم (ت ٨٦) جالس وعنده وجوه الناس من أهل الشام . قال لهم : من أعلم أهل العراق قالوا : مانعلم أحدا أعلم من عامر الشعبي ــ فأمر بالكتاب إلى فخرجت إليه حتى نزلت تدمر ، فوافقت يوم الجمعه ، فدخلت أصلى في المسجد فإذا إلى جانبى شيخ عظيم اللحيه قد أطاف به قوم من أهل المسجد وهم يكتبون عنه .

فحدثهم قال : حدثنى فلان عن فلان يبلغ به النبى ﷺ : «أن الله تعالى خلق صورين ، له في كل صور نفختان : نفخة الصعق ونفخة القيامه» . قال الشعبى فلم اضبط نفسى أن خففت صلاتى ثم انصرفت فقلت ياشيخ اتق الله ولا تحدثن بالخطأ . إن الله تعالى لم يخلق إلا صوراً واحدا وإنما هى نفختان : نخفة الصعق ونفخة القيامة .

فقال لي يافاجر : إنما يحدثنى فلان عن فلان وترد على ثم رفع نعله فضربنى بها ، وتتابع القوم على ضربا معه ، فو الله ما اقلعوا عنى حتى حلفت لهم أن الله

تعالى خلق ثلاثين صوراً ، له في كل صور نخفه فاقلعوا عنى ، فرحلت حتى دخلت دمشق ، ودخلت على عبد الملك فسلمت عليه ، فقال لى : « ياشبعى بالله حدثنى بأعجب شيء رأيته في سفرك ؟ فحدثته حدث التدمريين فضحك حتى ضرب برجليه » .

المبحث الأول

(التصدر للتدريس قبل أوانه)

أقوال الأئمه في منتصب التدريس . أعلم أن التقدم للتدريس والانتصاب لمعالي الأمور قبل حذق واتقان أصولها والتبحر فيها ضرب من التسرع والعجلة ونوع من الشهوة والتلهف إلى التسلط . فلا يتصدى للتدريس إذا لم يكن أهلا له ولا يذاكر الدرس مع من لا معرفة له به .

قال الشبلى أبو بكر الزاهد (المتوفى سنة ٣٣٤) وفيات الأعيان ١ /٢٢٦ : « من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه » . وقال ابن جماعه الكتانى : « من طلب الرياسة في غير حينه لم يزل في ذل مابقى واللبيب من صان نفسه عن تعرضها لما يعد فيه ناقصا وبتعاطيه ظالما وبإصراره عليه فاسقا .. إلى أن قال : ولا يرضى ذلك لنفسه أريب ولا يتعاطاه مع الغنى عنه لبيب .

ويشهد لقولهم صريح المنقول عن الرسول ﷺ بالطرق المشهوره : « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور » . (رواه أبو داود وغيره ٢ /١٩٩) وما أحسن ماقيل في تدريس من لا يصلح .

تصدر للتـــــدريس كل مهــــــوس
جهـــول يسمـــــى بالفقيـــــه المدرس
فحـــق لأهـــل العلـــم أن يتمثلـــوا
ببـــــــــيت قديم شاع في كل مجلس
لقـــــد هزلت حتـــــى بدا من هزاها
كلاهـــا وحتـــى سامهـــا كل مفـــلس

وانتحال شخصية الشيخ وتغمض رتبه الافتاء مع فقدان الأهلية يعتبر ضرب من الثرثره والافساد وقد وصف النبى ﷺ طبقة من أفراد الأمة بذلك وحذر منه وأنكره وبغض في هذا المسلك .

ففي الترمزى عن جابر بن عبد الله ــ رضى الله عنهما ــ : قال إن رسول الله ﷺ قال : «**إن من أحبكم إلى واقربكم منى مجلسا يوم القيامه احاسنكم اخلاقا . وأن من أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلسا الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون ، قالوا : يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون ، فما المتفيهقون قال المتكبرون ؟**» . قال الترمزى حديث حسن .

قلت والثرثار هو : الكثير الكلام بتكلف . والمتشدق المتطاول على الناس بكلامه يتكلم بملء فيه تفاصحا وتفخما وتعظما لكلامه .
والمتفيهق : أصله من الفهق ، وهو الامتلاء وهو الذى يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه تكثرا وارتفاعا . واظهارا لفضله على غيره .

قال الترمزى : قال عبد الله بن المبارك :

« حسن الخلق طلاقة الوجه ، وبذل المعروف وكف الأذى» . وفي حديث حارثة بن وهب ــ رضى الله عنه ــ عند الشيخين وأبى داود : « لايدخل الجنه الجواظ ولا الجعظرى» . والجواظ غليظ القلب . وقيل كثير اللحم المختال في مشيه . وقيل الجموع المنوع ، وقيل القصير البَطِن وقيل الجافي القلب وقيل الفاجر ، وقيل الأكول . والجعظري : الفظ الغليظ المتكبر وقيل هو الذى لايصدع رأسه . وقيل هو الذى يمتدح وينتفخ بما ليس عنده وفيه قصر . (أنظر معالم السنن ۷ ص ۱۷۲) ..

المبحث الثاني

«تعظيم المعلم من تعظيم العلم»

ومن تعظيم العلم تعظيم من يتعلم ويؤخذ عنه العلم ويجب على طالب العلم أن يستمع العلم والحكمة بالتعظيم والاجلال والحرمة وإن سمع مسألة واحدة ألف مرة وقد قيل عن بعض العارفين أنه قال : «من لم يكن تعظيمه بعد ألف مرة كتعظيمه في أول مرة فليس بأهل العلم» .

ومن هذا التعظيم ألا يختار نوع العلم بنفسه بل يفوض أمره إلى شيخه واستاذه الحاصل على التجارب فكان أعرف ماينبغي لكل واحد وما يليق بطبعه .

قال الامام برهان الدين الزرنوجي في كتابه (تعليم المتعلم ص ٥٤) : «كان طلبة العلم في الزمان الأول يفوضون أمرهم إلى استاذهم ، وكانوا يصلون إلى مقصودهم ومرادهم — والآن يختارون بأنفسهم ولا يحصل مقصودهم من العلم والفقه لأنهم لايدرون أى العلم أنفع بهم وأى علم يليق بطبيعتهم» .

وكان يحكى : «أن محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٦—٢٥٦) رحمه الله تعالى كان يبدأ بكتاب الصلاة على محمد بن الحسن رحمه الله تعالى فقال له اذهب وتعلم : علم الحديث لما رأى أن ذلك العلم اليق بطبعه . فطلب علم الحديث فصار فيه مقدما على جميع أئمة الحديث» .

مجالس الثقلاء :

ومن تبجيل العلماء وتعظيم طلبة العلم احترام مجالستهم وتجنيب مجالسهم الثقلاء والمهرجين .

قال الحسن البصري في قوله جل وعلا : ﴿**فإذا طعمتم فانتشروا**﴾ نزلت في الثقلاء . وكان أبو هريرة — رضى الله عنه — استثقل رجلا قال : «الهم اغفر لنا وله وارحنا منه» .

وكان حماد بن سلمه إذا رأى من يستثقله قال : «ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون» .

وقيل لأبى عمر الشيباني : «لماذا يكون الثقيل اثقل على الانسان من الحمل الثقيل ؟ قال لأن الثقيل يقعد على القلب والقلب لا يحتمل ما يحتمله الرأس والبدن من الثقل .

قال حبيب بن أوس :

يامـــن تبرمت الدنيـــا بطلعتـــه
كما تبرمت الاجفـــان بالسهـــر
يمشى على الأرض مختـــالا فأحسبـــه
من بغض طلعتـــه يمشى على كبـــدي

وقيل لابى مسلم : ما كان سبب خروج الدولة عن بنى أميه ؟ قال لأنهم ابعدوا أولياءهم ثقه بهم وادنوا اعدائهم تألفاً لهم فلم يصر العدو صديقا بالدنو وصار الصديق عدوا بالابعاد .

(أنظر ايقاظ أولى الهمم العاليه إلى اغتنام الأيام الخاليه للسلمان ص ٢٢٩)

طبائع البشر ثلاثة :

الأولى :

طبيعة حجرية صلبة قاسية لا تلين ولا تنقاد .

الثانية :

طبيعة مائية هوائية سريعة الانقياد مستجيبة لكل داع ، كالغصن أى نسيم مر يعصفه . ويقول العلماء وهاتان منحرفتان ، الأولى لاتقبل والثانية لاتحفظ .

الثالثة :

طبيعة جمعت بين اللين والصلابة والصفاء فهى تقبل بلينها وتحفظ بصلابتها ، وتدرك حقائق الأمور بصفائها ، فهذه الطبيعة الكاملة التى ينشأ عنها كل خلق

صحيح . فينظر طالب العلم طبيعة الشيخ الصالح والطبيعة الأخيرة هى المحتمله والتى يمكن لطالب العلم أن يستفيد منها وهذا من باب المزيد في العوامل المؤديه للنجاح وإلا فالورع والتقوى والمعرفة هى المعول عليها في الشيخ .

وروى بإسناده إلى إبراهيم بن إسحاق : الزهرى حدثنا أبو نعيم (٥٤) قال : كنت أمر على زفر (٥٥) وهو محتب بثوبه في كبده فيقول : يا أحوال ، تعال حتى أغير بذلك أحاديثك مارأيت ماقد سمعت ؟ فيقول هذا يؤخذ به وهذا لا يؤخذ به ، وهذا ها هنا ناسخ وهذا منسوخ .

(٥٤) الامام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق بن موسى بن مهران الاصبهاني .

(٥٥) زفر : هو زفر بن وثيمه بن مالك بن أوس بن الحدثان النصري الدمشقى قال عثمان الدرامي : عن ابن معين وعن دحيم أنه ثقة زاد دحيم ولم يلق حكيم بن حزام . (تهذيب التهذيب ٣ /٣٢٨) ..

قوله (وهو محتب بثوبه في كبده) . وفي سنن الترمذى وأبى داود ــ باب في جلوس الرجل ــ عن ابن أبى سعيد الخدرى ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال : « كان إذا جلس احتبى بيده » .

الاستشهاد على قول زفر : (تعال ، حتى أغير بذلك حديثك ...)

أولاً :

قوله يفيدنا أن علماء الأمة كانوا يرغبون في معاونة الطالب ومساعدته ويهفون إلى مجالسة طلبة العلم ويتعشقون ذلك ويرجونه ، بل قد يرحلوا من البلدة تماماً إن لم يجدوا طلبة يطلبون ماعندهم من علم . ومن ذلك :

(١) حكوا أن سفيان الثوري لما قدم عسقلان مكث لا يسأله إنسان .. فقال : «اكروا لي» ــ أى دابة ــ لأخرج من هذا البلد .. هذا بلد يموت فيه العلم .

(٢) وقد يشتد ذلك على أحدهم فيجلس يبكي وتبل دموعه لحيته ولا يجد لذة لطعام ولا شراب ولا راحة ومن ذلك ماروى عن عطاء قال : «دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكى ، فقلت مايبكيك ؟ قال : ليس أحد يسألنى عن شيء» .

ذكر ذلك الغزالي في « الاحياء » ثم قال : إنما فعل ذلك حرصاً على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به . وهكذا أوجد المنهج الرباني وسنة المعصوم ﷺ رجالاً على هذه الشاكلة يرحل أحدهم من البلدة أو يبكى إن لم يجد من يبث فيه العلم والنور .

هكذا كان تلاميذ الصحابة ومن تبعهم بإحسان أحرص الناس على نشر العلم وتعليمه ومد أشعته في الناس ، فإذا لم يجدوا من يأخذ عنهم ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم أو فكروا في الرحيل إلى بلد آخر .

واليوم ما اتعس وأشد مانراه في بعض العلماء من اغلاق للأبواب وحرمان للعلم وكتماً له لا كتاب ينشر ولا إعلام صحفي أو إذاعي مع تعدد سبل المعرفة وإيصال الفكر ..

اللهم إلا نفر من المفكرين الاسلاميين وبعض العلماء عدادهم على الاصابع يجلسون في حلقات لهم مكتظة بالسؤال والفتوى .

والمكتبة الاسلامية تعج بالاقلام الضالة والافكار السامة من نشر للإلحاد أو دعوة انحلال وتنكر للاسلام أو شبهة أو تشكيك ، وكذلك القبضة الحديدية على الاعلام وانتهاز الفرص في الصحف والمذياع لإيصال تلك الأفكار المخالفة لشرع الله فأين أنتم ياطلبة العلم الشرعي وأين أنتم ياحملة رسالة رسول الله ﷺ .

لابد أن توجد السبل الكفيلة بتحقيق طريق السابقين في إيصال المادة العلمية للناس .

قلائد ودرر تعظم المعلم :

قال الداعية القرضاوي في كتابه « الرسول والعلم » :

«ومن أدب المتعلم الذى جاءت به السنة النبوية توقير المعلم ، واعطاؤه ما يستحق من التكريم والإكبار ، فإن المعلم لتلميذه بمنزلة الأب لولده» . بل قال يحيى بن معاذ : «العلماء أرحم بأمة محمد ﷺ من آباءهم وأمهاتهم . قيل له : كيف ذلك ؟ قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا ، والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة» .

وبهذا صار حق المعلم — كما يقول الغزالي — أعظم من حق الوالدين ، فإن الوالد سبب الوجود الحاضر ، والحياة الفانية والمعلم سبب الحياة الباقيه ، ولولا المعلم لانساق ماحصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم . وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخرويه . أعنى معلم علوم الآخره ، أو علوم الدنيا على قصد الآخرة . (أنظر الاحياء ١ /٥٥) .

وفي المفاضله بين المعلم والأب يقول الشاعر :

فهــذا مربى الــروح والــروح جوهــر
وذاك مربى الجسم والجسم كالصدف

وقال الحسن البصري :

«لولا العلماء — أى المعلمون — لصار الناس مثل البهائم أى أنهم بالتعليم يخرجون من حضيض البهيميه إلى أفق الانسانيه .

ومن أجل هذا جاءت الأحاديث بتوقير المعلم وأن من إكرام العلم إكرام العلماء :

(١) عن أبي موسى — رضى الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال : «**إن من إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه ، ولا الجافي عنه ، وإكرام ذى السلطان المقسط**» . (رواه أبو داود) .

(٢) وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا** » . (رواه أحمد بإسناد حسن) .

(٣) وقال ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ : « إن كنت لآتى الرجل منهم ــ أى « الأنصار » ــ فيقال : هو نائم فلو شئت أن يوقظ لى فأدعه حتى يخرج لأستطيب بذلك حديثه » . الدارمى ١ /١١٥ .

(٤) وفي الدارمى أيضاً ١ /١١٤ . قال ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ : « طلبت العلم فلم أجده أكثر منه في الانصار ، فكنت آتى الرجل فأسأل عنه : فيقال لي : نائم فأتوسد ردائي ثم أضجع حتى يخرج إلى الظهر ، فيقول : بئسما صنعت هلا أعلمتنى ؟ فأقول : أردت أن تخرج إلى وقد قضيت حاجتك » .

(٥) وعن الشعبي قال : « صلى زيد بن ثابت على جنازة ، ثم قربت له بغلة ليركبها ، فجاء ابن عباس ، فأخذ بركابه توقيراً وتعظيماً لعلمه وفضله ، فقال له زيد : « خل عنك ياابن عم رسول الله ﷺ » فقال ابن عباس : « هكذا نفعل بالعلماء والكبراء » » . رواه البيهقى في المدخل والطبرانى والحاكم وقال على شرط مسلم . قاله الزين العراقي في تخريج الاحياء .

(٦) وعن الزهرى قال : « كنت آتى باب عروة فأجلس بالباب ولو شئت أن أدخل لدخلت ، ولكن إجلالاً له » . رواه الدارمى في سننه ١ /١١٥ .

(٧) وعن على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ قال : « إن من حق العالم ، ألا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب ، وألا تلح عليه إذا كسل ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تفتش له سراً ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا تطلبن عثرته ، وإن زل قبلت معذرته ، وعليك أن توقره وتعظمه لله ، مادام يحفظ أمر الله ، ولا تجلس أمامه (أى تدير له ظهرك) ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته » . جامع بيان العلم وفضله ١ /١٥٦و١٥٧ .

(٨) وقال الحسن بن على لابنه : « يا بنى إذا جالست العلماء فكن على أن

تسمع أحرص منك على أن تقول ، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت ، ولا تقطع على أحد حديثاً وإن طال حتى يمسك» .

(٩) وقال شعبة : «كل من سمعت من حديثاً ، فأنا له عبد» . قال القرضاوي في كتابه « الرسول والعلم » ص ١٠٦ . وهذه الكلمة قد شاع معناها عند المسلمين حتى جرت مجرى المثل وهى قولهم : «من علمنى حرفاً صرت له عبداً» .

ولم يشع بيت من الشعر في عصرنا كما شاع بيت شوقى في مطلع قصيدته الشهيره :

قُم للمعلــــم وَفِّـــه التبجيـــــلا
كاد المعلـــــم أن يكـــــون رسولا
أرأيت أعظــم أو أجـــل من الـــذى
يبنــى وينـــشىء أنـــفساً وعقـــولا ؟!

□□□□

الفصـل التاسـع

وقال الأعمش : «يامعشر الفقهاء أنتم الأطباء ونحن الصيادله»

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول :

مزية الفقه على بقية العلوم .

المبحث الثاني :

تعريف الفقه والفقيه ونماذج لمن رفعه الفقه على قمة المجد .

وروى بإسناده إلى عبيد الله بن عمرو (٥٦) قال : جاء رجل إلى الأعمش فسأله عن مسألة وأبو حنيفه جالس ، فقال الأعمش يانعمان قل فيها ماجاء به فقال : فقال الأعمش من أين قلت هذا ؟ فقال من حديثك الذى حدثتناه قال نعم نحن صيادله وأنتم أطباء .

وفي رواية قال كنا عند الأعمش وهو يسأل أبا حنيفه عن مسائل ويجيبه أبو حنيفه ، فيقول له الأعمش من أين لك هذا ؟ فيقال أنت حدثتنا عن إبراهيم (٥٧) بكذا ، وحدثتنا عن الشعبى (٥٨) بكذا فقال فكان الأعمش بعد ذلك يقول : يامعشر الفقهاء أنتم الأطباء ونحن الصيادله .

فصل : وقال الأعمش : «يا معشر الفقهاء أنتم الاطباء ونحن الصيادله» .

(٥٦) عبيد الله بن عمرو بن أبى الوليد الأسدى مولاهم أبو وهب الجزرى روى عن أبى يحيى بن سعيد الأنصاري ، والأعمش وأيوب وليث بن أبى مسلم ومعمر والثوري قال أبو حاتم : «صالح الحديث ثقه صدوق لا أعرف له حديثا منكرا» .

وقال ابن معين والنسائى «ثقه» وقال ابن سعد «كان ثقة صدوقا كثير الحديث وربما اخطأ وكان أحفظ من روى عن عبد الكريم الجزرى ولم يكن أحد ينازعه الفتوى في دهره» .

مات الرقة سنة ١٨٠ وكان مولده سنة ١٠١ .

(أنظر تهذيب التهذيب ٧ /١٤٠ ـــ ١٤٣ .

(٥٧) إبراهيم النخعي :

هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل النخعي الكوفي الفقيه . قال أبو نعيم (مات سنة ٩٦) . وله ٤٩ سنه . نذر من فضله وعلمه : قال العجلى : كان مفتى أهل الكوفه ، وكان رجلا صالحا فقيها متوقيا قليل التكلف ومات وهو مختف من الحجاج .

وقال الأعمش : «كان إبراهيم خيرا في الحديث» .

وقال الشعبي : «ما ترك أحدا أعلم منه» .

(٥٨) هو عامر بن شراحيل بن عبد الشعبى الحميري أبو عمرو الكوفي من شعب همدان روى عن على وسعد ابن أبى وقاص ولد سنة ١٩ بالكوفه ومات بها سنة ١٠٣ .

لمحات من همة الشعبى وشغفه بالعلم وسرعة حفظه له :

قال ابن شبرمة سمعت الشعبى يقول :

«ماكتبت سوداء في بيضاء ولا حدثنى رجل بحديث فأحببت أن يعيده على» .

وقال : «أدركت خمسمائه من الصحابة» . وقال أبو جعفر الطبرى في طبقات الفقهاء : «وكان ذا أدب وفقه وعلم ، وكان يقول ما حللت حبوتى إلى شىء مما ينظر الناس إليه ، ولا ضربت مملوكا لى قط وما مات ذو قرابه لى وعليه دين إلا قضيته عنه» .

وقال اسعث بن سوار :

«لقى الحسن الشعبى فقال : كان والله كثير العلم ، عظيم الحلم قديم السلم من الاسلام بمكان» .

ويكفيه أن الصحابى الجليل ابن عمر ـــ رضى الله عنهما ـــ وقف على حلقته وسمع درسه وزكاه . قال عبد الملك بن عمير : «مر ابن عمر على الشعبى وهو يحدث بالمغازي . فقال : لقد شهدت القوم فلهو احفظ لها وأعلم بها» .

وقال ابن عيينه :

«كانت الناس تقول بعد الصحابه ابن عباس في زمانه والشعبى في زمانه والثورى في زمانه» . (أنظر تهذيب التهذيب ٥ /٦٧) ...

المبحث الأول

مزية الفقه على بقية العلوم

قال السفارين : وفي تاريخ ابن النجار عن ابن المبارك ــ رضى الله عنه ــ قال : «قدمت على سفيان الثوري بمكه فوجدته مريضا ، شاربا دواء فقلت له : إنى أريد أن اسألك عن أشياء ؟ قال فقل : فقلت أخبرنى من الناس ؟ قال الفقهاء . قلت : فمن الملوك ؟ قال الزهاد .

قلت : فمن الاشراف ؟ قال : الاتقياء .

قلت : فمن الغوغاء ؟ قال : الذين يكتبون الأحاديث يريدون أن يتأكلوا أموال الناس . قلت : فمن السفله ؟ قال : الظلمه .

(أنظر غذاء الألباب منظومة الآداب للسفارين) .

وفي حديث ابن ماجه (٢٢٣) في المقدمه باب فضل العلماء والحث على طلب العلم عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ . ورواه الترمزى في سننه العلم (١٩) بلفظ . «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد» . وحكى عن الشافعى : رحمه الله تعالى أنه قال : «العلم علمان : علم الفقه للأديان ــ وعلم الطب للأبدان وماوراء ذلك بلغة مجلس» .

وقال برهان الدين الزرنوجي في كتابه تعليم المتعلم «والفقه معرفة دقائق العلم مع نوع معالجة» .

وقال أبو حنيفه : «الفقه معرفة النفس مالها وما عليها» . تعليم المتعلم ص ٣٤ .

حد الفقيه وتعريفه :

وقال علي ـــ رضى الله عنه ـــ : «ألا أنبئكم بالفقيه ؟ كل الفقيه ؟ قالوا بلى قال : من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ماسواه» .

وقال الحسن : «الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخره البصير في دينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن أعراض المسلمين ـــ العفيف ـــ عن أموالهم الناصح لجماعتهم» .

قال الغزالي رحمه الله : في الاحياء ١ /٢٩ .. «ولم يقل ـــ الحسن ـــ في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوي . ولست أقول إن اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوي في الأحكام الظاهره ولكن كان بطريق العموم والشمول . إلى أن قال : وقد صار الآن مطلقا على من لايحيط بعلوم الشريعه بشيء سوى رسوم جدليه في مسائل خلاقيه فيعد بعد ذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكاً لخلق كثير من أهل الطلب للعلم» .

ولنسمع إلى حجة الاسلام يتحدث عن مزيه الفقه على بقية العلوم :
قال رحمة الله في الاحياء ١ /١٦ : «وحاصل فن الفقه معرفه طرق السياسه والحراسه ويدل على ذلك ماروى مسندا : « لا يفتى الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف » الحديث اسناده حسن وأخرجه ابن ماجه من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده :

ثم قال : فالأمير هو الامام وقد كانوا أهم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذى يتقلد تلك العهده من غير حاجة وقد كان الصحابة ـــ رضى الله عنهم ـــ يحترزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لايحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة .

فإن من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجه فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال .

ثم يعترض الغزالي فيقول : «فإن قلت هذا إن استقام لك في أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة وفيما يشتمل ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام فأعلم أن أقرب مايتكلم الفقه فيه من الأعمال التى هى أعمال الآخره ثلاثة : الاسلام والصلاه والحلال والحرام . فإذا تأملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا ، إلى الآخرة وإذا عرفت هذا في هذه الثلاث فهو في غيرها أظهر . أما الاسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح ويفسد وفي شروطه . وما ذكرناه لا نقصد به الطعن في حد بل هذه أحوال فقهاء الاسلام سقناها جلية واضحة وهى بنفسها كفيلة بالطعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم في أعمالهم وسيرهم .

تفاوت شرف العلوم

قال العلامه طاهر الدمشقى في كتابه (توجيه النظر ص ٤١٨) : «شرف العلوم يتفاوت بشرف مدلولها ، وقدرها يعظم بعظم محصولها ، ولا خلاف عند ذو البصائر أن أجلها ما كانت الفائده فيه أعم ، والنفع به أتم ، والسعادة باقتنائه أدوم والانسان بتحصيله ألزم ، كعلم الشريعة التى هى طريق السعداء إلى دار البقاء ، ما سلكه أحد إلا اهتدى ولا استمسك به من خاب — ولا تجنبه من رشد ، فما أمنع جناب من احتمى بحماه ، وأرغد مآب من ازدان بحلاه .

لكل فن رجاله :

قال الكنوىّ رحمه الله تعالى في كتابه النافع — الاجوبة الفاضله ص ٣٤ : «وقد بلغنى عن بعض الناس لما أرسلت له عبارة علىّ القارىء الدالة على وضع حديث « من قضى صلاة من الفرائض في آخر جمعة من رمضان ... الخ » .

أنه قال : «لا اعتبار للقارىء بحذاء صاحب (النهاية) فالمعتمد هو نقل صاحب (النهاية) لا القارىء» .

وهذا قول أظن أن من صدر عنه جاهل لايعرف مراتب المحققين ولا يعلم الفرق بين الفقهاء والمحدثين ، فإن الله تعالى خلق لكل فن رجالاً ، وجعل لكل مقام مقالاً ويلزم علينا أن ننزلهم منازلهم ، ونضعهم بمراتبهم .

فأجِلَّةُ الفقهاء إذا كانوا عارين من تنقيد الأحاديث لا نسلم الروايات التى ذكروها من غير سند ولا مستند إلا بتحقيق المحدثين .

ونقلة الأحاديث إذا كانوا عارين عن الفقاهة لا نقبل كلامهم في الفقه ككلام الفقهاء المعتبرين ، وقِسْ على هذا صاحب كل فنٍّ بكل فنّ .

فصاحب النهاية وإن كان من أجلّة الفقهاء لكنه ليس ببالغ إلى مراتب المحدثين فلا نقبل رواياته بلا سند إلا إذا نص على اعتبارها جمع من المحدثين ، فإن العبرة في هذا الباب كما مرَّ غير مرَّة بهم لا بغيرهم .

قال محققه شيخى واستاذى محدث الشام أطال الله في عمره ونفع به العلامه ــ عبد الفتاح أبو غدة : «هذه النقول لو شد طالب العلم الرحل إليها شهراً كاملاً لكان ذلك جديراً بها ، فإنها لباب الحق ومحض النصح والصدق ، فلهذا اطلت بها ، فرحم الله الامام اللكنوى وجزاه عن العلم والدين خيراً» . انتهى ..

وروى بإسناده إلى عطيه بن نعيم (٥٩) قال : قال لى أبي (٦٠) : كنت عند شعبة بن الحجاج (٦١) إذ قال : لى يا أبا محمد إذا جاءتك مسألة معضله من تسألون غيرنا ؟ قال قلت في نفسي هذا قد أعجبته نفسه ؟ قال قلت يا أبا بسطام توجه إليك وإلى أصحابك حتى تفتوه ، قال فما كان إلا هنيئة إذ جاء رجل فقال : يا أبا بسطام رجل ضرب رجل على أم رأسه فأدعى على المضروب أنه انقطع شمه ، فقال : فجعل شعبه يتشاغل عنه يمينا وشمالا فأومأت إلى الرجل أن الح عليه ، فالتفت إلى فقال : يا أبا محمد ما أشد البغي على أهله لا والله ما عندى فيه شيء ولكن افتيه أنت قال قلت : يسألك وافتيه أنا ؟ قال فإني قد سألتك قال قلت : سمعت الأوزعى (٦٢) والزبيري (٦٣) يقولان يدق الخردل دقا بالغا ثم يشم ، فإن عطس كذب وإن لم يعطس صدق . قال حدثنا بها بقيه (٦٤) والله ما يعطس رجل انقطع شمه أبدا .

آخر مختصر النصيحه لأهل الحديث .

(٥٩) (٦٠) عطية بن نعيم وأبوه .

(٦١) شعبه بن الحجاج بن الورد العتكى الازدى مولاهم أبو بسطام الواسطى ثم البصرى ولد سنة ٨٢ ومات ١٦٠ بالبصرة . (تهذيب التهذيب ٤ /٣٣٨) .

طرف من شرفه وتشرفه بالسنه :

قال الشافعى : «لولا شعبة ماعرف الحديث بالعراق» . وقال يزيد بن زريع : «كان شعبة من أصدق الناس في الحديث» . قال وكيع : «انى لأرجو أن يرفع الله لشعبة في الجنه درجات لذبه عن رسول الله ﷺ» .

وقال أبو داود : «لما مات شعبة ، قال سفيان مات الحديث . قيل لأبى داود هو أحسن حديثا من سفيان ؟ قال ليس في الدنيا أحسن حديثا من شعبة» .

قال ابن حبان في الثقات : «كان من سادات أهل زمانه حفظا واتقانا وورعا وفضلا وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين وجانب الضعفاء والمتروكين» .

(٦٢) الأوزاعي :

هو عبد الرحمن بن عمرو بن أبى عمرو وأسمه محمد الشامي أبو عمرو الأوزاعي الفقيه نزيل بيروت في آخر عمره فمات بها مرابطا . ولد سنة ٨٨ وتوفى سنة ١٥٨ .

شيء من فضله :

قال ابن مهدى : «الأئمة في الحديث أربعة الأوزاعي ومالك والثوري وحماد بن زيد» .

قال ابن حبان في الثقات : «كان من فقهاء أهل الشام وقرائهم وزهادهم وكان السبب في موته أنه كان مرابطا ببيروت فدخل الحمام فزلق فسقط وغشى عليه ولم يعلم به حتى مات» .

قال النسائى في الكنى : «أبو عمرو الأوزاعي أمام أهل الشام وفقيههم» .

قال أبو إسحاق الفزاري : «مارأيت مثل رجلين الأوزاعي والثوري ، فأما الأوزاعي فكان رجل عامة والثوري كان رجل خاصة لو خيرت لهذه الأمة لاخترت الأوزاعي لأنه كان أكثر توسعا وكان والله اماما» . (تهذيب التهذيب ٦ /٢٣٩) ..

(٦٣) الزبيري :

هو مصعب بن عبد الله بن مصعب بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدى أبو عبد الله الزبيري المدني ، سكن بغداد توفى سنة ٢٣٦ وهو ابن ثمانين سنة .

قال ابن معين : «الزبيري ثقة عالم بالنسب» .
وقال العباس بن مصعب : «أدركته وهو أفقه قرشي في النسب» .
وقال الزبير بن بكار : «كان أوجه قريش مروءة وعلماً وشرفاً وبياناً» .
(تهذيب التهذيب ١٠ /١٦٢) ..

(٦٤) بقيه بن الوليد بن صائد بن كعب بن حريز الكلاعى أبو يحمد الحمصى ولد سنة ١١٥ وتوفى ١٩٧ . (تهذيب التهذيب ١ /٤٧٤) ..

والعالم الفقيه العامل مبشر من النبى ﷺ بالبراءه من النفاق فقد روى الترمذى من طريق أبي هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : «قال رسول الله ﷺ : خصلتان لا يكونان في منافق . حسن السمت وفقه في الدين» .
وهى ثمره دينية ودنيوية والكل يسعى لتحقيقها في نفسه وأولاده وأصدقائه وأحبابه ومعلوم أن الآخره خير وأبقى والفقيه من فقه مقاصد الشريعة ومرامى الأدله لذا نال الخيرية وفي حديث أبي هريرة عند الشيخين البخاري ومسلم :

«الناس معادن كمعادن الذهب والفضه فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فقهوا» .

ولا مراء في أن الفقه قمة العلم ولذته وفهمه ومدار الفتوى في الحلال والحرام وسبيل الدخول إلى دعوة الناس إلى الله تبارك وتعالى وما أصدق قول الشاعر :

الفقــه أنــفس شيء أنت ذاخــرة
من يدرس الفقــه لم تدرس مفاخــرة

نماذج لمن رفعه الفقه على قمة المجد :

(١) فكم من رجل مهمل السمعه رفعه العلم إلى قمة المجد ومن ذلك ماحكاه وقاله سالم بن أبي الجعد . قال : «اشتراني مولاى بثلاثمائة درهم واعتقنى . فقلت : بأى شى احترف فاحترفت بالعلم ، فما تمت لى سنة حتى أتانى أمير المدينة زائرا فلم آذن له» .
نعم الله يرفع بهذا العلم أقواما لولاه لكانوا سلعة تباع وتشترى وعدادهم في

السوائم والدواب . ومولى أبى الجعد من نبلاء الموالي وعلمائهم مات سنة مئة وكان طَلاَّبه علم وكان يكتب قال ابن سعد :

« توفى في خلافة عمر بن عبد العزيز وقال أبو نعيم : بل مات في خلافة سليمان ، وكان ثقه كثير الحديث ، ثم قال وقالوا : كان لأبى الجعد سته بنين فاثنان شيعيان واثنان مرجئان ، واثنان خارجيان ــ فكان أبوهم يقول قد خالف الله بينكم ــ وهم عبيد وعمران وزياد ومسلم وعبد الله لم يذكر السادس » .

قاله الذهبى في سير أعلام النبلاء ٥ /١٠٨ قلت انظر ترجمة سالم مطوله في طبقات ابن سعد ٦ /٢٩١ .. طبقات خليفة ١٥٦ والتاريخ الكبير ٤ /١٠٧ والتاريخ الصغير ١ /١١ /٢١٢ والجرح والتعديل ٤ /١٨١ .. تهذيب الكمال ٤٦٠ والبدايه ٩ /١٨٩ ..

(٢) من ذلك ما أخرجه أحمد بإسناد صحيح رجاله ثقات ٦ /١٦٥ وأبو نعيم في الحليه ١ /٣٧١ والحاكم ٣ /٢٢٦ وصححة ووافقه الذهبى عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت : « استبطأنى رسول الله ﷺ ذات ليلة ، فقال : ما حَبَسُكِ قالت إنى في المسجد لأحْسَنُ من سمعت صوتا بالقرآن ، فأخذ رداءه وخرج يسمعه فإذا هو سالم مولى أبى حذيفه ، فقال : (الحمد لله الذى جعل في أمتى مثلك) » .

(٣) وفي جامع بيان العلم جـ ١ / ص ٧٤ــ٧٥ .

ما نصه : « سأل الحجاجُ ، خالدَ بن صفوان : من سيد البصره ؟ فقال خالد بن صفوان : سيد البصرة الحسن البصري . قال الحجاج : وكيف وهو مولى ؟ أى ليس من قبائل العرب ذوى الحسب ؟ فقال : احتاج الناس إليه في دينهم ، واستغنى عن الناس في دنياهم ، ومارأيت أحداً من أشراف أهل البصرة إلا وهو يدوم الوصول في حلقته إليه ، يستمع قوله ويكتب علمه . فقال الحجاج : هذا والله السؤدد » .

(٤) وما أجمل ماروى في ذلك قصة ابن أبزى التى أخرجها مسلم في صحيحه حديث رقم ٨١٧ وأحمد في سنده انظر الفتح الرباني للعلامه الساعاتي

جـ ١ /١٤٦ .

وذلك أن نافع بن عبد الحارث لقى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعُسفان ــ وكان عمر ولاه على مكة ، فسأله من استخلفت على أهل الوادي ؟ فقال : ابن أبزى .

قال عمر : ومن ابن أبزى ؟

قال نافع : مولى من موالينا . قال عمر : فاستخلفت عليهم مولى ؟ قال : إنه قارىء لكتاب الله عز وجل وأنه عالم بالفرائض . قال عمر : أما إن نبيكم ﷺ قد قال : «إن الله يرفع بهذا الكتاب اقواماً ويضع آخرين» .

(٥) وقال إبراهيم الحربي :

«كان عطاء بن أبى رباح عبداً أسود لأمرأة من مكة ــ قال : وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء ، هو وابناه ، فجلسوا إليه وهو يصلى ، فلما صلى انفتل إليهم ، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج ، وقد حول قفاه إليهم ! ثم قال سليمان لابنيه : قوما ، فقاما ، فقال : يابنى لاتنيا في طلب العلم ، فإنى لا أنسى ذلنا بين يدى هذا العبد الأسود» . (أنظر مفتاح السعادة جـ ١ /١٦٥) .

(٦) وأخرج البخاري في صحيحه حديث رقم ٦٩٢ في الاذان ــ باب أمامه العبد والمولى ــ عن ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ قال :

«إن المهاجرين نزلوا بالعُصْبَةِ إلى جنب قباء فأمهم سالم مولى أبى حذيفه لأنه كان أكثرهم قرآنا ، فيهم عمر وأبو سلمه بن عبد الاسد» . وأنظر ترجمة سالم مولى ابى حذيفه من طبقات ابن سعد ٣ /١ /٦٠ .. والتاريخ الكبير ٤ /١٠٧ ومشاهير علماء الأمصار ١٠١ والاستيعاب ٤ /١٠١ ــ ١٠٤ .. وأسد الغابه ٢ /٣٠٧ــ٣٠٦ .

وجاء في آخرها هذه الأبيات . قال الناسخ : هذه الأبيات للشيخ تقى الدين بن تيميه رحمه الله تعالى وجدت بخطه في القاعه الذى مات فيها مكتوبه بفحم

بخطه رحمه الله .

أنــا الفــقير إلى رب السمــاوات ... أنــا المسكين في مجمـــوع حالاتى
أنـا الظلـوم لنـفسى وهــى ظالمتــى ... والخير إن جانــا من عنـــده يأتى
لا أستطيـع لنــفسى جلب منفعــة ... ولا عن النــفس في دفـــع المضراتى
ولــيس لى دونـــه مولى يدبـــرنى ... ولا شفيـــع إلى رب البريـــاتي
إلا بأذن من الـــرحمن خالقنـــا ... هو الشفيـــــع كما جاء في الآياتى
ولست أملك شيئـا دونـــه أبــدا ... ولا شريكــا أنـــا في بعض ذراتى
ولا ظهير له مما يعاونــــــــه ... كما يكـون لاربـــاب الرايـــات
والفقـــه وصف دائم أبـــدا ... كما الغنـــــى وصف لم ذاتى
وهـذه الحال حال الخلق أجمعهـم ... وكلهـم عنـــده عبـــد له آتى
فمن بغى مطلبا من دون خالقــه ... فهو الظلوم الجهول المشرك العاتى
والحمـد لله ملك الكـون أجمعـه ... بما كان فيـه ومــا من بعـده يأتى

ابن تيمية

قال ابن كثير رحمه الله تعالى ـــ البداية والنهاية ص ١٤ /١٣٥ .

«ذكر وفاة شيخ الاسلام أبي العباس تقى الدين أحمد بن تيمية قدس الله روحه . قال الشيخ علم الدين البرزالى في تاريخه : (وفي ليلة الاثنين العشرين من ذى القعدة توفى الشيخ الامام العالم العلم العلامة الفقيه الحافظ الزاهد العابد المجاهد القدوة شيخ الاسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن شيخنا الامام العلامة المفتى شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن الشيخ الامام شيخ الاسلام ابى البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم محمد بن الخضر بن محمد بن على بن عبد الله بن تيمية الحرانى ثم الدمشقى بقلعة دمشق بالقاعة التى كان محبوساً بها وحضر جمع كثير إلى القلعه ، وأذن لهم في الدخول عليه وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقرؤا القرآن وتبركوا برؤيته وتقبيله ، فلما فرغ من غسله أخرج ثم اجتمع الخلق بالقلعة والطريق وامتلأ الجامع أيضاً وصحفه والكلاسة وباب البريد .. وحضرت الجنازة في الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك ووضعت في الجامع والجند قد احتاطوا بها يحفظونها من الناس من شدة الزحام وصلى عليه أولاً بالقلعه .. وقد تضاعف اجتماع الناس واشتد الزحام وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب والترحم عليه والثناء والدعاء له والقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم وثيابهم ، وذهبت النعال من أرجل الناس وقباقيبهم .. لايلتفتون إليها لشغلهم بانظر إلى الجنازة وصار النعش على الرؤوس تارة يتقدم وتارة يتأخر وتارة يقف وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها وهى شديدة الزحام ، كل باب أشد زحمة من الآخر ، ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام فيها وعظم الأمر بسوق الخيل وتضاعف الخلق وكثر الناس ، ووضعت الجنازة هناك وتقدم للصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن . وحضر نساء كثيرات بحيث حرزن بخمسة عشر الف امرأة وأما الرجال فحرزوا بستين الفاً إلى مائة الف إلى اكثر من ذلك .. ورؤيت له منامات صالحة كثيره ، ورثاه جماعة بقصائد جمه وكان مولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأول بحران سنة ٦٦١ وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير فسمع الحديث من ابن عبد الدائم ومجد الدين بن عساكر وخلق .

وقرأ بنفسه الكثير وطلب الحديث وكتب ولازم السماع بنفسه مدة سنين ، وقل أن سمع شيئاً إلا حفظه ثم اشتغل بالعلوم وكان ذكياً كثير المحفوظ ، فصار إماماً في التفسير وما يتعلق به عارفاً بالفقه ، فيقال إنه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها الذين كانوا في زمانه وغيره ، وكان عالماً باختلاف العلماء ، عالماً في الأصول والفروع والنحو واللغة وغير ذلك من العلوم النقليه والعقليه ، وماقطع في مجلس ولا تكلم معه فاضل في فن من الفنون إلا ظن أن ذلك الفن فقه ، ورآه عارفاً به متقناً له ، وأما الحديث فكان حامل رايته حافظاً له مميزاً بين صحيحه وسقيمه عارفاً برجاله متضلعاً في ذلك ، وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة في الأصول والفروع كمل منها جملة وبيضت وكتبت عنه وقرئت عليه أو بعضها ، وجملة كبيرة لم يكملها ، وجملة كملها ولم تبيض إلى الآن ، واثنى عليه وعلى علومه وفضائله جماعة من علماء عصره مثل القاضي الخوبى ، وابن دقيق العيد وابن النحاس ، والقاضي الحنفى قاضي قضاة مصر ابن الحريرى وابن الزملكانى وغيرهم .

ووجدت بخط ابن الزملكانى أنه قال : اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها ، وأن له اليد الطولي في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتدين وكتب على تصنيف له :

ماذا يقــــول الواصفــــون له
وصفاتــــــه جلت عن الحصر
هو حجــــة الله قاهــــرة
هو بيننــــا اعجوبــــه الدهــــر
هو آيــــة في الخلــــق ظاهــــرة
أنوارهــــا أربت على الفجــــر

وهذا الثناء عليه ، وكان عمره يومئذ نحو الثلاثين سنه» ..

انتهى المقصود من كلام ابن كثير

الخاتمة :

الحمد لله ثم الحمد لله به تتم الصالحات وتكتمل وبركة الكتاب وخيرة كما يقول العلماء في تمامه سواء برفع القلم من تقييد وإضافة أو ضرب أو حذف وتقديم وتأخير أو بتمام القراءه له .

وهذا ماتيسر من تحرير مسائل تتعلق بطلب علم الحديث في غير تنطح وغلو ولا غفلة وتساهل وأسأل الكريم رب العرش العظيم أن أكون قد وفقت في هداية أكبر عدد ممن أخذتهم الطرق ولوت أعناقهم إلا هؤلاء من براعم الباحثين والمبتدئين في علم الحديث .

كما أسأله سبحانه وتعالى أن يجعل عملى هذا وعمل إخواني الصالحين أجمعين عاملا نافعا متقبلا خاليا من الرياء والسمعه وأن ينفع به من أراد النفع من طلبة الحديث خاصة وطلبة العلم عامه .

وكان الفراغ من تبييض الكتاب وكتابة مقدمته في صحن الكعبة الشريفة من المسجد الحرام بمكه المكرمه وذلك بين المغرب والعشاء من أول يوم في صفر ثمان وأربعمائه وألف من الهجره النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأذكى التحيه .

فلك أللهم الحمد والثناء كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه وسلم تسليما .

يوسف محمد صديق

○ شكر وتقدير واعتراف بفضل لأهل الفضل ○

اتقدم بالشكر الجزيل بعد الله تبارك وتعالى للأخوان القائمين على مكتبة الحرم المكى الشريف لما بذلوه من جهد سواء بالتصوير أو بتسهيل مهام الكتب وتيسير الوقت الصالح للكتابه والمطالعه فقد لمست فيهم الجدية والاخلاص وتيسير المهمه .

كما أشكر الأخوه الذين شاركوني في الرأى ومن أعانني على إخراج هذا الكتاب ومن طالعه قبل نشره وأشكر للأخوة في المطبعة . والشكر للأخ / حسن الحمل الذي قام بالجمع التصويري والاخراج الفني .. كما أشكر للأخ منصور بن غازي العبد الله الشريف على حثه وتشجيعه المستمر لاخراج هذا الكتاب وغيرته لرفع الهمم والحث على نشر النافع من تراثنا الحميد .. والشكر موصول لدار الأصالة للصحافة والنشر والانتاج الإعلامي ولمديرها الأخ / محمد الحسن محمد عباس . على اشرافها وقيامها بنشر هذا الكتاب .. جزى الله الجميع خير الجزاء .

«تمت رسالة مختصر نصيحة أهل السنة»

○ المصادر والمراجع ○

اقتصرت فيها على الكتب التى عزوت لها مرات متعددة وتركت مارجعت إليه نادراً . وهى مرتبة على الأحرف الابجدية .

(١) اتحاف الورى بأخبار إم القرى ، للنجم عمر بن فهد ــ الطبعة الأولى .

(٢) إحياء علوم الدين : أبو حامد محمد بن الغزالي ــ دار الكتب العربية / بمصر .

(٣) اسنى المطالب ــ للعلامه الحوت ــ طبع بيروت سنة ١٣١٩ هـ .

(٤) ايقاظ أولى الهمهم العاليه إلى اغتنام الأيام الخالية ــ لعبد العزيز السلمان ــ الطبعة الأولى .

(٥) الاصابة في تميز الصحابه : للحافظ ابن حجر ٧٧٣ هـ .

(٦) البداية والنهاية : ابن كثير ــ مكتبة المعارف ــ بيروت .

(٧) تدريب الراوي ــ للسيوطي ــ الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٦ م دار الكتب الحديثة ــ عابدين .

(٨) تذكرة الحفاظ للذهبى ــ حيدر أباد الدكن ١٣٧٥ هـ .

(٩) تذكرة السامع والمتكلم : ابن جماعة الكناني ت ٧٣٣ هـ ــ دار الكتب العلمية .

(١٠) جامع بيان العلم وفضله : ابن عبد البر ، دار الكتب بمكة المكرمة .

(١١) الجامع لأحكام القرآن : القرطبى ، الطبعة الثانيه ١٣٦٢ هـ .

(١٢) الجامع لاخلاق الراوي : للخطيب ، تحقيق د . محمود طحان .

(١٣) حلية الأولياء ــ لأبى نعيم .

(١٤) الحافظ الخطيب البغدادي ، لشيخى محمود الطحان .

(١٥) ذيل طبقات الحنابله : لابن رجب ، مطبعة السنة المحمديه ١٣٧٢ هـ .

(١٦) الرسول والعلم : القرضاوي ، دار الصحوة .

(١٧) سنن ابن ماجة : ابن ماجة ، دار الفكر .

(١٨) سنن الدارمي : الدارمي ، فيصل أباد .

(١٩) سنن النسائى ــ بشرح السيوطي ــ المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

(٢٠) سير أعلام النبلاء : الذهبى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠١ هـ .

(٢١) الاسئلة العشره (وهو المسمى بالأجوبة الفاضلة للاسئلة العشرة الكامله) ــ مكتبة المطبوعات الاسلامية .

(٢٢) صحيح البخاري ــ بشرح فتح الباري : ابن حجر ، المكتبه السلفيه ١٣٨٠ هـ .

(٢٣) صحيح مسلم ــ بشرح النووي : النووي .
(٢٤) صفة الصفوة : ابن الجوزي ، دار المعرفة ، بيروت .
(٢٥)
(٢٦) عارضة الاحوذى : ابن العربي ، دار الكتب العلمية .
(٢٧) عقود الجوهر : جميل العظم الدمشقى ت ١٣٥٢ .
(٢٨) عون المعبود : للعلامه إبن الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، المطبعة السلفية ــ المدينة المنورة .
(٢٩) العلم / فضله / طلبه : للاستاذ الأمين الحاج السوداني : دار المطبوعات بجده .
(٣٠) فيض القدير : المناوي ، مطبعة مصطفى محمد . سنة ١٣٦٢ هـ .
(٣١) قيمة الزمن عند العلماء : أبو غدة ، مكتب المطبوعات الاسلاميه بحلب .
(٣٢) القرآن الكريم .
(٣٣) كشف الخفاء ومزيل الالباس : العجلونى إسماعيل بن محمد ــ مكتبة القدس ، جوار الأزهر .
(٣٤) كنوز الاجداد : محمد كرد على .
(٣٥) الكفاية في علم الرواية ــ الخطيب ــ دار الكتب الحديثة ــ عابدين .
(٣٦) مجمع الزوائد : الهيثمى ، مكتبة القدس ١٣٥٢ هـ .
(٣٧) مسند الامام أحمد ، دار صادر ، بيروت .
(٣٨) معالم السنن : الخطابى ، مكتبة السنة المحمدية .
(٣٩) معرفة علوم الحديث : الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ــ دار الكتب المصرية .
(٤٠) موارد الظمآن : السلمان ــ الطبعة الحادية عشر .
(٤١) موطأ مالك : الامام مالك ، مطبعة السعادة ــ الطبعة الأولى بشرح الزرقاني ١٣٣١
(٤٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال : الذهبى ٧٤٨ هـ . دار إحياء الكتب ــ الحلبي .
(٤٣) هموم داعية : محمد الغزالي ، إحياء التراث الاسلامي . بقطر .
(٤٤) اليكم شباب الأمة : الجندول ــ الناشر تهامه ــ جده .

○ كتب صدرت للمؤلف ○

☐ الطريق إلى الالتحام بين الجيلين .
☐ الأحاديث القدسية ـــ لابن الديبع ـــ تحقيق .
☐ النكت الظريفه ـــ لبعض المحدثين .
☐ حقيقة التطرف الديني .
☐ دقائق العقيدة .
☐ مختصر نصيحة أهل الحديث .
☐ نصيحة الحسن البصري ـــ لعمر بن عبد العزيز .

○ كتب تحت الطبع ○

☐ وصية أبي حنيفة .
☐ أسباب طعن الرواة .
☐ ترتيب أحاديث (حسن الأثر) .
☐ حديث «النيل من الجنة» والمجاعة .

﴿ محتويات الكتاب ﴾